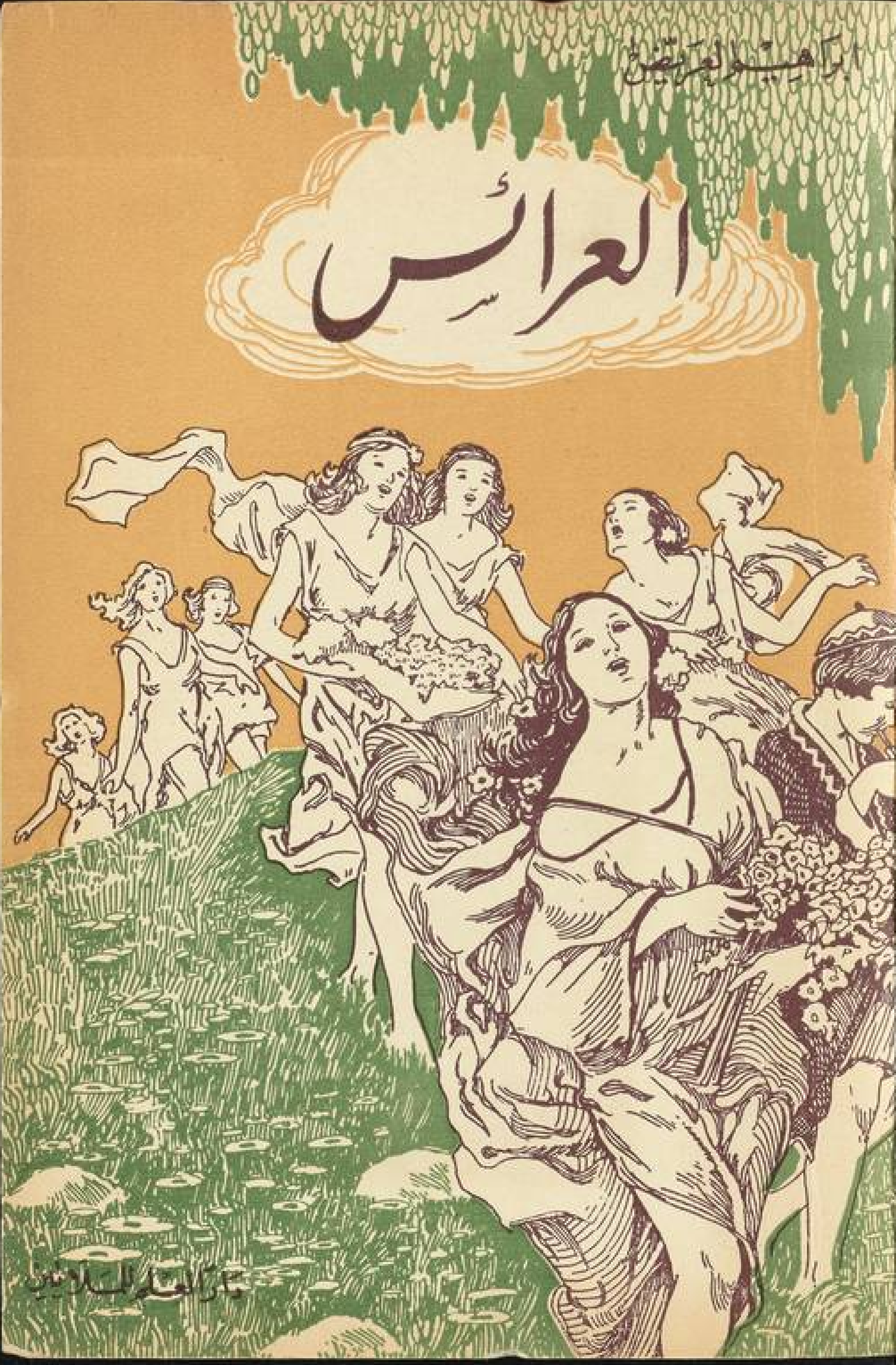
ابراهيم العريض

العرائس



دار العلم للملايين

al-ʿUrayyid, Ibrāhīm

ابراهيم العريض

al-ʿArāʾis

العرائس

دار العلم للملايين

بيروت ١٩٤٦

طبع من هـذه المجموعة الشعرية ألف نسخة عـلى ورق هولزفراي «مت» واثنتا عشرة نسخة على ورق هولزفراي ممتاز مرقمة من (١) الى (١٢) . وهي غير معروضة للبيع .

الطبعة الأولى

تشرين الثاني ١٩٤٦

الشعر البحراني

بقلم الاستاذ الحوماني

●

كنت أفكر ملياً في من هو هذا الشاعر الذي يبعث اليّ بقطع لا يعدوها الشعر ومصدرها بقعة مجهولة في هذا العالم ، عالم الشعر اليوم ؟ على أني ، وقد رجعت بالذاكرة الى عشرة أعوام أو تزيد فاسترجعت ذكرى الشاعر الخطي البحراني قبل مئتي عام أو تزيد إذ أقرأه في سلافة العصر فيملأ نفسي إعجاباً بقريضه الفحل ، وهو يصف سبيطية البحر التي شجّت رأسه على ساحل البحرين ، عدت بعد هذا غير منكر على شاعر البحرين السيد ابراهيم العريض أن يكون خليفة الخطي وغير منكر على تلك البقعة أن تكون مصدر اللؤلؤ بكلا معنييه .

كنت أفكر في شخص هذا الشاعر وأنا اقرأ له قوله مرسلاً الى مجلتي « العروبة » أيام حداثتها :

يا مصميَ القلب ، والآمال ذابلة ، فازهرت بالدم الجاري ولم تكدِ
وفقاً علي نزعه مني فقد علقت به بقية ما أبقيته لغدي
من كل امنية تزهو بحسرتها حتى كأنهما روحان في جسدي

لا تترك القلب مفتوحاً بقرحته   فثمّ حبّك لم ينقص ولم يزد
أو خذ مع السهم أفلاذاً مقطعة   فلست بعدك أبقيها الى أحد

فلم يعدل بي الفكر عن كونه شيخاً قارحاً في مزاولة هذا الفن . فالشعر وإن كان هبة فوق كونه كسباً ، لا ينشأ عبقري الاسلوب والروح حتى يكون للشاعر سهم وافر من تقويم أوده وتذليل صعبه ، إذ هو مجموعة من العلوم والآداب مصهورة في بوتقة الفن ، ولعل الشعر خلاصة هذه المجموعة ، وغريب على النقد أن يراها متوفرة في الأحداث من شعرائنا الشباب .

لذلك كانت الدهشة مستحوذة عليّ إذ كنت جالساً الى مكتب العروبة أصيل يوم ما وأرى شاباً وسيماً حدثاً يدخل عليّ ويحييني كأنه واحد من خلطائي ثم يقول : لعلك لم تعرفني ؟ قلت : وكيف عرفتني أنت ؟ فقال : صاحب العروبة يعرفه كل عربي . قلت : إنك شاعر فمن أنت ؟ قال : ابراهيم العريض . فقلت : عرفتني بشعورك لا بعروبتك ، ولم أعرفك لاستحواذ السياسة علي هذه الأيام فكنت بذلك أرهف شعوراً وادق إحساساً مني .

كنت دهشاً إذ دخل علي وقارنت بين شبابه وشيخوخة شعره ، فآمنت إذ ذاك أن الأثر ليس وليد المؤثر وإنما هو وليد الحياة فيه والحياة أسمى من أن يطغى عليها شباب أو تنهار بها شيخوخة . والذي يتصف بهذين إنما هو الزمن لا الحياة .

فالاستاذ العريض شاعر شاعر . وليس لي في معرض التدليل على شعره أكثر من أن اقدم ديوانه الجديد الذي شاء أن يدعوه « العرائس » وهو

مجموعة ما أتحف به الشباب الشاعر من خواطره الناشئة في عبقر والقائمة على فكر نرى شبابنا المثقف في أمس الحاجات الى درسه واكتناه ما ينبثق فيه من حياة .

وإذا كان لبنان يتمخض بالعلم والأدب منذ قرن ونيف ليلد لنا عباقرة في الشعر لا يتجاوز عددهم أصابع اليد ، فحسب البحرين القطر البعيد عن جمال الحضارة والرازح تحت عبء التاريخ منذ قرون أن يلد لنا مثل الشاعر العريض ليفاخر به عشرات الافذاذ من الشعراء .

ولست أقول ذلك في معرض التدليل على شاعر مغمور ، ولا أرمي بما أقول إلى دفعه في عالم ليس هو منه ، ولا أجوز الحقيقة إلى المجاز الآخذ منها باسباب التلاعب في القول ، وإنما أشعر من صميم حياتي بسمو الحياة في شعر هذا الشاعر ، وأشعر من أعماق نفسي باني مدين لخدمة الحق في النداء على نبوغه ، ثم أشعر من وراء ذلك كله بان الملق والتضليل اللذين استحوذا على أقلام الكتاب هذه الأيام ، يدعوانني لأن أخرج من عزلتي في النقد الى الجهر بالحق في وجه الباطل .

فمرحى للحياة في الأدب الجديد ، ولهذا الأدب في الفن العبقري ، ولهذا الفن في الشعر الطريف ، ثم لهذا الشعر الحي الخالد في ديوان « العرائس » .

الحوماني
صاحب العروبة

بيروت ١٦/٩/٩٤٦

أنا والله مُغرمٌ بحميد الذكر حتى كأنه بعض ديني

ولعلّي اذا انجلى الليل عن صبح أرى مثل نوره في جبيني

غناء

أفهل تذكرين — حواء — لمّا
قلت لي والهوى يرف علينا
« أي حسن رأيته في حتّى
خال نوراً يشع من ناظرينا
حبذا لو جلوت لي في إطار
أثر الحب في نفوس كلينا »
فخذيها مني أحاسيس شتى
نبضت بالحياة لوناً فلونا

٢٦ شوّال سنة ١٣٥٨ ه

حواء

•

تمثّل الحب للفنّان بين يديّ   ذكراه .. كالنار تغشى طور سيناءِ
وقال – حين رآه في تململه   يقلّب الطرف بين الزهر والماءِ
« يا من عكفتَ على الدنيا وزينتها   حتى صممت عن الأنغام من نائي *
تحيا الحياة بلا إلف تلوذ به   إلا ارتيادك في أفياء فيحاء
حتى كأن ضلوعاً أنت حاملها   تُطوى على كبد ليست بحرّاء
هذا الوجود أطار لا كفاء له   وغاية الفنّ فيه رسم « حوّاء »
لها الشباب الذي تشفي برُقيته   ما كابد القلب من صدّ وإغراء
لها الجمال الذي تعنو لعزّته   فيما تشاهد من ظل ومن ماء
لها الوداد الذي تبقى أشعّته   تنير خطوك في طوفان أهواء
كأنها الشمس إشراقاً .. تبادلها   مرآة قلبك لألاءً بلألاء
لا تكذب النفس في مجد حلمت به   فلست تحسن إلا قول « أهواها »

*

شغفتَ بالحسن لا تنفكّ تطلبه   عيناك .. حتى ولو في كأس صهباء
وليس أجمل ما في الكون من أثر   إلا اقتباساً بدا من شكل حسناء

(*) نائي : قيثارتي .

أنظر الى شفتيها هل ترى زهراً ... يفترّ عن نقط كالطلّ وطفاء
أنظر الى وجنتيها هل ترى شفقاً ... يلوح من شعرها في وسط ظلماء
أنظر الى ناظريها هل ترى ألقاً ... كأنه صادر عن كوكبٍ ماء
ما في الطبيعة من حسن فمنعكس ... عن صدرها البضّ في عينيك بالراء
وأطيب الطيب ما في الخلد من زهر ... وإنما غرستها كفّ « حوّاء »
فكيف تُكبر من شأن الجميل ولا ... تثيبها عن يد قبّلتَ بيضاء
وما تؤمّل في الفردوس منفرداً ... لولا رجاؤك أن تحظى بلقياها ؟ »

٢٢ ربيع الثاني ١٣٥٦

الى …

●

تعالي ! فان الليل يبسط ظله … لكي يتملى ناشيء الزهر حله
وان فؤادي يوعم في يد الصبا … سأعدم نشراً منه ان لم أطله
وثمَّ سرٌّ كامن فيه كالشذى … ولم أتنشّق منه الا أقلّه
طوى باكياً كالزهر أولَ صفحة … من العمر .. حتى يضحك العمرَ كلّه
ولحن كترجيع الرباب اذا انثنى … عليه بخمس مطرب … فاستهلّه
يوقّعه قلبي على وتر الهوى … تباعاً … فأقضي ليلتي أتولّه
ولا من نجيٍّ — إذ أحاول بثه … كأحسن ما بث المحبُ هوىً له —
سوى شبح ان يطرف العين لحه … أينكر دمعي في الضلوع محله ؟

١٢ ربيع الاول ١٣٥٥

في سكون الليل

●

غفا الكون.. الا مايكون من الصبا ... اذا حرّكت مهد الزهور النواعسِ
تخالينها - يا ميّ - طهراً مجسماً ... على كل غصن في الخميلة مائسِ
ويحبس من أنفاسها الليل ريثما ... يخالطها برد الندى المتقارسِ
فترسل طيباً حولها في دوائر ... تدور الى أن يغمر الطيب هاجسي
وقد سكنت حتى المياه كأنها ... هنالك تصغي في الظلام لهامسِ
يصقلها مرّ النسيم فتنجلي ... بها صور الاشياء شبه رواكسِ
وينظر في مرآتها النجم حائراً ... فليس يرى إلا شرارة قابسِ
أتزعم أن الله أبدع هذه ... لنقضي ريحان الصبا في المجالسِ ؟

*

ولا طير إلا وهو طاوٍ جناحه ... على الرأس حتى المنكبين.. كبائس
تخالينه من لفّه الجيدَ ناعساً ... ولكنه - يا ميّ - ليس بناعسِ
فان لذكرى كل لحن شدا به ... سحابة يوم هزّة في المغالسِ
تؤرقّه تلك الهواجس موهناً ... فيشفق من جرّاء تلك الهواجسِ
وكم دوحة في الروض حال سوادها ... بأنوار بدر شعّ بين المغارسِ
ليلبسها من نسجه بعد عريها ... نقاباً لجيني السنا كالعرائسِ

وتحت شعاع البدر أسفرت المنى   وعاينتها تحنو حنوّ الاوانسِ
تعالي هنا ... نخلدْ من العمر ساعة   يداً بيدٍ في نجوة ونهامسِ

١٥ ربيع الثاني ١٣٥٦

ميّ

●

ولما تفيأنا ظلال خميلة تساقط مثلُ الدرّ فوق خطانا
وحدثتها بالحب – وهي مصيخة – على أمل ان تلتقي شفتانا
أشاحت الى الازهار عني بوجهها دلالا وقالت لي « كفى هذيانا
أتأمل مني ان أصدق بالهوى جزافا .. وطرفي لا يراه عيانا ؟ »

*

فقلت لها « يا ميّ ! ما الروض ناضرا ولا الطير احلى ما يكون لسانا
بأحسنَ من خدّ تورّد في الصبا وأعذبَ من ثغر يفيض بيانا
لقد كان أولى ان نمتع بعضنا بأنظار بعض في جنون صبانا
وما قيمة الازهار في جانب الهوى أليس الهوى – ياميّ – اعظم شانا ؟
أناشدك الحبَ الذي عهدنا به سويا كأخفى ما يكون مكانا
ألم تشعري شيئا تمثل بيننا لأول عهد تم فيه لقانا ؟
أبعد تعاطينا معا كأس ألفة يجوز لنا الا ّ نحسّ صدانا ؟
فمالك تستعدين قلبي على الهوى كأنك ما شاطرته الخفقانا !

*

تعالي الى عهد وثيق من الهوى نعيش عليه في الحياة كلانا

فلا يزدهي قلبي بشيء مؤمّـــل   اذا لم يصادف في فؤادك شانا
ونفرغ في كأس الأمانيّ حبنا   فتسعى به ما بيننا شفتـــانا
ولا نلتقي الا كما لقت الصبـــا   فروعـــا تفيـــأنا بهن أمانا
ونختال في روض المحبّـــة وحدنا   فـــلا يتغنى طيرهـــا لسوانا
وان تعهدي يوما فؤادك خافقا   شعرت لقلبي مثـــله خفقانا
كأن الذي ينساب ملء كليهما   صُبابـــة ما ساقي الغرام سقانا
وآنا نبكّي كالطيور وجودنا   بلحن ... وكالازهار نضحك آنا
فنسعد بعضا باشتراك سرورنا   ونسعد بعضـــا باشتراك أسانا
كذلك نحيا بالسواء... وها فمي   ضمانا لعهـــد لو أردت لكانا »

*

فعندئذ مالت اليّ ببشرهـــا   فأيقنت أنا شيقـــان .. كلانا
فأدنيت ثغري باشتياق لثغرها   فما افترّ حتى قبّلته حنـــانا
وطوّق زندي خصرها فتمايلت   عليـــه بغنج ريثما تتـــدانى
وقالت « اذن ، هذا هو الحب »
قلت : « لا   بل الراح »
قالت « فلنبـــلّ صـــدانا »

٢٧ ذي الحجة ١٣٥٣

في نشوة الحب

●

ناشدتني إذ كنت بين يديهـــا جاثياً بالجمـــال أنعم عينـــا
وعلى ثغرهـــا ابتسامٌ خفيّ أوّلته الخـــدود لونـــاً فلونا
وأخوها الذي أطلّ من الأفـــــق - على بعده - يصيخ إلينا
واحتفال النجوم من كل صوب لم يزل بالمراح يعـدي كلينـــا
«كيف تهوى هذي النحيلة دون الـــخلق طرّا ... هلا تأملت زينا؟»

*

فتنـــاولت كفهـــا وتصنّعـــــت على حبها بدوري نشيجا
«كيف أهواك؟ انشدي البدر عني هو ذا في السماء يطوي البروجا
هل تكون الحياة - لولاك - الا ظلمة لا أطيق منهـــا خروجا؟
إن حبي اليـــك كالبحر لمـــا ترشق الشمس وجهه فيموجـــا
لا! بل الشمس عندما تتجـــلى من وراء السحاب تطلي المروجا
لا! بل الغيث عندمـــا يتوشى منبت الأرض من نداه نسيجا
لا! بل الروض عنـدمـا يتلقى قطرات الندى فيزكو أريجا
لا! بل الطـير عندمـــا تتغنى فتضج الرياض منهـــا ضجيجا
ما كهذا الأخير حبي لا ، بل هو من كل ذاك كان مزيجا

صور - يا أميم - شتى ولكن   ألّفت من هواك معنى بهيجا »

*

فترامت عليّ في منتهى البشـر وقـالت « لله درّ لسانـك
أنا أخشى بأن تمتّع غـيري   بالذي استدرّه من بيـانك
أنت في عالم من الشعر فاتركـه الى عالمي لأحظى بشانـك
إن حبـاً أبثّه لك لا يعـدو أريجاً نشقت من ريحانـك
غير أني أميل نحوك صـدري   والذي قد حواه طوع بنانك »

١٠ شعبان ١٣٥٢

بيني وبينها

●

قابلتها تحت سجاف الدجى وأعين النجم براها السهاد
في روضة تعبق ارجاؤها من حولنا مثل أريج الوداد
والورد قد أثقل أجفانه نوم ... فأحنى رأسه في المهاد
من بعد أن علّ لبان الندى منْ نهد أمٍّ في لباس الحداد

*

فلم تكد تبصرني واجماً أستلهم القول بذاك السواد
لأوفيَ الحسن به حقّه والحسن منها بين خافٍ وباد
فلا أطيق القول من دهشة كأنما شاكَ لساني قتاد
حتى دنت مسدلةً شعرها واتخذت صدري لها كالوساد
قائلة — رغم الذي شاع من وصفي لها — « يا شاعراً ما أجاد
ما لك لا تنطق .. هل زال من قلبك ذاك الحب لي والوداد ؟

*

أما ترى البلبل يغني الى آذاننا ألحانه في اتئاد ؟
وكل ما في الكون يدعو الى أن نحتفي بالحب .. حتى الجماد ؟
كأنما الدنيا ازدواج .. فما شيئان إلا وهما في اتحاد

وانظر الى خدّيَ .. هل صوّحت زهرتـــه فـــلا يفي بالمراد ؟
أم انطوى سفر شبـــابي الذي ينشر آياتـــك في كل ناد ؟
حتى تقـــاضيني بما لم يكن لشدّ ما أنصفتني في البعـــاد
أهكذا القاك .. أنت الذي قد هـــام من حبي في كل واد ؟ »

*

فقلت « يا ميّ ! أمـــا للهوى أن يبعث الشعر ودمعي المداد
حتى أجلّي كربة عـــانقت روحي وأوري من حياتي الزناد
لا تحكمي - إن لم أطق بثّ ما أشعره - بانني غـــير صـــاد
والله خـــانتني القوافي وقـــد عهـــدتها مُسلسة لي القيـــاد
يعجّ بالمعنى فؤادي .. فان حـــاولته فمثل خرط القتـــاد
كأنني طـــير عـــلى منهل يحوم .. لو أمكنه الارتيـــاد

*

يا ميّ ! قد أصبحت من طول ما أعيـــانيَ الشعر عليـــل الفؤاد
أغرس في القلب بذور المـــنى شتّى ولكن .. خيبتي في الحصاد
لا أملك اليوم سوى دمعـــة أفصح عن حبي بهـــا في انفراد
أهـــذه حـــالة أهـــل الهوى قاطبة .. أم أنا دون العباد ؟ »

*

قالت : « أهذا كل ما تشتكي » واستضحكت كأنني غير جـــاد
وألصقت خداً بخـــد .. فمـــا أحسست إلا جمرة في اتّقـــاد
« لا تعذلِ الشاعر إن فاته ذاك البيان العذب أو ما أجاد
فانمـــا الشعر له فـــترة كالبحر إذ يهدأ بعـــد اشتداد

وهل فؤاد ضاق ذرعاً بما يحسّه إلا لعمق الفؤاد
والحب لو كانت له آية ما ضلّ ذو الحبّ سبيل الرشاد
هلاّ بسطت الكفّ لي هكذا وقلت أهواك ... ففيها السداد »

*

فما تمالكت لها دون أن لثمت فاها ، حائراً بازدياد
وقلت « يا ميّ . أهذا الذي تلقين لي درّ والاّ بجاد
هم حسبوني شاعراً .. أين لي مثلك أنفاس تهز الجماد
هل أحسنُ الأفصاح عن كلّ ما أشعره نحوك – جلّ المراد
أنت التي قدّرت من منطقي تقدير من يلحظه بالوداد
أفديك ما ضمت ضلوعي وإن يقلّ في حقّك حبّ الفؤاد
فكلّ ما أنظمه ملهماً فملهمُ منك – وربّ العباد

*

فطوّقتني بذراعين كالطفل اذا وفّق في ما أراد
وبادلتني قبلة دون أن تمهلني حتى أراها تعاد
ورنّ في أذن الصبا صوتها لا تخمد الجذوة تحت الرماد

٢٣ ذي القعدة ١٣٥٦

القبلة الاخيرة

●

وقفنا .. ولمّا يشرق البدر طالعاً ... ولا سبقته في السماء نجومها
على جدول قد صقّلته يد الصبا ... فمالت مع الأغصان فيه رسومها
وخرخرة الأمواه أثناء جريها ... على حجر يرفضّ منه نظيمها
كترنيمة المانيّ عند عكوفه ... على ضوء نار في صلاة يقيمها
وكنت على ما بي من الحزن واجماً ... وكانت هي الأخرى كثيراً وجومها
فلما رأيت الصمت طال على جوى ... تركّبه أحدان الدموع وتومها
وعهدي بها ما شافهتني بنغمة ... من اللحن إلا واستباني رخيمها
نطقت اسمها همساً لترفع رأسها ... اليّ فلم تفعل .. ولست ألومها
وأنّى تناغيني بسابق بشرها ... وأنفاسها الحرّى تكاد تريمها ؟

*

فلم يك بد أن أحدّث بالذي ... يسرّ .. وإن غال السعادة شومها
فقلت « انظري يا ميّ حولك الصبا ... تراود أزهاراً فيزكو نسيمها
والطير تشدو في الغصون صبابة ... الى إلفها – لا مسّها ما يضيمها
والموج يصبو للتعانق بعضه ... الى بعضه من غير أيد يقيمها
والغيم في حضن الغمامة يرتمي ... كما يرتمي في حضن أخت حميمها

تُرَيْ كل شيء في الحياة مسخّراً ... الى الحب .. موقوفاً عليه نعيمها
يخيّل لي أن الطبيعة مثلنا ... تحس ولولا ذاك ما طاب خيمها
رأت ما بنا من لوعة فتألقت ... كأحسن شيء .. شهبها وسديمها
لتنجاب عن نفسي ونفسك ظلمة ... من اليأس لا يفضي لصبح بهيمها »

*

فصعّدت الأنفاس من حرّة الجوى ... وقالت « بودّي لو تعفّت رسومها
وأيّ عزاء لي إذا شطّت النوى ... بأن خاتلتني في السماء نجومها
أتعلم هذا آخر العهد بيننا ... وتبغي سلوّي .. أي حال ترومها ؟
أما ضمّنا وشك الفراق هنيهة ... لنبكي حياة زال عنّا نعيمها ؟
وإن كان بالحب استتبّ نظام ما ... نراه كحبّات حلاها نظيمها
فما بالنا نشقى كذا بودادنا ... ونجرع كأساً لا يطاق حميمها ؟
أما نحن أولى من طيور خميلة ... بألحان حبّ في الحياة نديمها ؟
أيُقضَى لنا من دونها بتشتّت ... فترضى به إلا شتاتاً يضيمها ؟ »

*

فلم أتمالك دون أن ملت نحوها ... وبين ضلوعي ما يكاد يقيمها
وقلت « ارفقي يا ميّ بالنفس حسبة ... فديتك خوفاً أن تطيش حلومها
أأشفقتِ أن تُطوى صحائف حبنا ... وهيهات ! في عينيّ خُطّ رقيمها
أبى ليَ قلبٌ طال فيك وجيبُهُ ... وعينٌ هواها حيث أنتِ يشيمها
بأن أتملّى جرعة من زجاجة ... إذا لم يكن ذكراك دوماً نديمها
أأسلوكِ ؟ لا والله حتى يعود لي ... شبابي .. وأحلى الذكريات قديمها
ولو عاد لي حقّاً – اذاً لقضيته ... كعهدك بي في لوعة أستديمها

وهل أشبهت دنيــاي إلا قلادة بديعاً دراريها .. وانت يتيمها ؟ »

*

فأدنت فمــاً مثل الأقاح منوّراً تودّع .. والأحشاء دامٍ كلومهـا
وقد أرسلت من شعرها حول وجهها ففاح كعرف الياسمين شميمهـا
وضمّت على الصدر البدين كأنما هنالك شيء بالعـــذاب يسومها
فقبّلتها ما أسعف النفس الذي احتبست جنوناً قبلة أستديمهـا
وأشرق نور البدر من خلف غيمة فغادرتها .. والنفس وهي تـرومهـا

٦ ربيع الثاني ١٣٥٥

١

إن الطبيعـــة لو تمثّل شخصها لبدت فتاة في ثياب حـــداد
تبكي على وجه بجول وزهرة تذوي وحسن مشرق لنفـــاد

صورتان

•

ولم أنسَ - يا ميّ - سرحي الانامل في شعرك الجعد حتى انسدل
وانسي بالبـدر - بدر السماء على نور وجهك .. لما استهل
وهمسي مثل الصبا كلّما رشفت على شفتيك العسل
« أمغمضة خجلاً طرفها لمَ افترّ ثغرك تحت القبل ؟» .
غداة توسّدت زنداً وآخر دار على جسمك المشتعل
فأنعشت روحي بطيب العناق كما أنعش الزهرَ في الروض طل
هنالك أشبهتا وردتين تبارك في وجنتيك الخجل

*

فهل تذكرين بظلّ الكروم موقفنا ساعةً .. أو أقل
ومن شرقنا حمرة في السماء فقد أوشك الصبح أن يستهل
وإسنادكِ الرأس فوق الضلوع وهمسك كالطائر المنذهل
« تلمّس فؤادي .. وأين الفؤاد اذا لوعة في الحشا تشتعل
أتدركنا الشمس قبل الوداع ؟ تزوّد - إذن - قبلةً بالعجل
وأخرى ... فقد كاد هذا الفراق يخنق منّيَ حتى الأمل »
هما صورتان .. ولكن بحلّهما من شعورك معنى أجل

٢٧ رجب ١٣٥٦

القُبَّرة

●

نحوّم في أفق السماء أصيـــلا كنجم تراءى للعيون ضئيلا
فيتّخذ الصوت الذي تستجدّه مع الريح في رحب الفضاء سبيلا
يدقّ على الأسماع خافت جرسه فان أعلنته الريح جاوز ميلا
وتدركه شيئاً فشيئاً غشاوة من الحزن حتى يستحيل عويلا

*

أقبرّة ! هل أنت في الجوّ قطعة من الحسّ سالت باللحون مسيلا
تعالين في الألحان حتى اذا انتشت بها روحك الولهى خفتّ قليلا
كما تخفت الأوتار بعد رنينها ويبقى صداها في النفوس طويلا
فقد برأ الله الطبيعة وهي لا تحسّ به .. حتى بعثت رسولا
فأحسنت في الترتيل حتى كأنما بآيك ظلّ الروض صار ظليلا
ولقّنتنا سرّ الجمال ولم نكن لندرك ـ لولاك ـ الوجود جميلا
فما زهرة في الروض تفتح جفنها على الدمع إلا وهي تنشد سولا
فتغرينها في شجوها بابتسامة بذلك معنى للخلود جليلا

١٠ صفر ١٣٥٦

عروس الماء

●

لذت خلف الغصون في عزلة لا أملّها
وحوالي خضرة بلّها ما يبلّها
من نهير زها على جانبيه محلّها
فاذا راقت السماء بدا فيه ظلها
وزهور يلوح كالقرط في الأذن طلها
جادها الماء قبلة ومضى يستقلها
وانبرى البلبل الوديع لها يستغلها
فكأنّ الحياة تمّت لمحبّ ... كلها

*

أنا في نشوة أحدّث نفسي بما أراه
وأرى ملء ناظريّ حياة – هي الحياه
تحت ظلّ يكاد يشتعل الزهر في مداه
وسكون يمدّه بلبل بالذي شداه
وكأن الوجود يبسم حولي بما حواه
واذا بي أحس خلفي حراكاً على المياه

فتلفّتَ مستريباً الى النهر . . . من أتاهُ ؟
آه . . ! ماذا شعرت في الأثر تحت الضلوع . . آه !

*

وتواريت في الصخور وجانبت حدّها
وسددت الصدوع حوليَ ما اسطعت سدّها
حذراً أن تنمّ بي قبل أنْ استجدها
نظرة كالوميض تبتدر العين ردها
لا تسلني بمن رأيت فأضمرت ودّها
إذ تمثّلت كالشعاع على الموج قدّها
يتهادى منعّماً فترى الماء ضدّها
كلّما دافعته جلّل بالشعر خدّها

*

فتمنّيت لو دنت لي قريباً . . . كما هيه
فأرى شعرها يبلّلها وهي عاريه
وأرى طرفها تصدّ به صدّ عافيه
وأرى في تورّد الخدّ أشياء ثانيه
وأرى حقّتين وسطهما بعض غاليه
تستمرّان في النهوض وإن نحن جاثيه
وأرى الماء قد كساها على المتن حاشيه
فغدت من مهابة الحسن تبدو ككاسيه

*

وانثنت نحو ناتيء فانثنى الموج خلفها
ترتمي فوق صدره بيد ... ما أخفَّها
فاستوت عنده بحيث ترى العين نصفها
فأمرَّت على السوالف بالرفق كفَّها
تنفض القطر عن غزير من الشعر لفَّها
ثم قامت .. فطوَّق الماء كالربط خلفها
غير أني غضضت طرفي عن أن يشفَّها
هي حورية من الأنس .. والماء زفَّها

*

وترنَّحت مغمض العين لا أستبينها
ثم اني فتحتها بعد ان حان حينها
واذا بالنهار يسطع فيه جبينها
وهي تجري على الصخور بشكل يزينها
حائلا دون ملتقى فخذيها يمينها
فأرى من قوامها اللدن ما لا يشينها
وخطاها تكاد من جريان تخونها
ريثما تنتهي الى مستقرَّ يصونها

*

وتخيَّلت أنني قائم في جوارها
حين تنساب بالحرير — وان لم يوارها
حول ساقين عاطلين — يد [1] في سوارها

(١) فاعل « تنساب » في البيت السابق .

ثم تحنو لترتدي ما نضت من وقارها
فاذا عادلت به سرّة في مدارهـا
أرسلت ظلمة القميص على ضوء نارها
واذا ما مشت تموّج ما في صدارها
فتثنّي عليهما فضلة من خمارهـا

*

واكتست ... ثم أبصرت بي عند انحدارها
فاستقرّت ... كأنها صورة في اطارهـا

٢٧ شوال ١٣٥٦ه

في عبد المجيد

قلادة

●

قضيت شبابي بها مغرما فما كان - يا قلبُ - أحلاهما [1]
تعيش بأحلامه في ربيع وتحيا بأنفاسها ملهما

*

أتذكر يا قلب ! ساعة قربْ ت من فمها في جنونٍ فما
ومن حولنا الزهر في حالتيه ترقص ايقاظه النوّما
لقد كنت كالطفل فيما تحسّ واحساسها كان بي أنعما
فألهب من خدها جمرتين وفتّق من ثغرها برعما

*

أتذكر يا قلب ! ساعة أرخيْ ت فوق ترائبها منعما
قلادة درّ - زهت كالدمو ع حبّاته - توأماً توأما
وقولي « اقبليه فدتك الحسان فلو أنّ كفّي تطول السما
اذن لجعلت نثارك منه ونظّمتها ثانياً أنجما »

---

(١) هي والشباب .

فمدّت - لألثمه - معصما
وألوت على سمطه معصما

وقالت « أتنذره هو أيضاً
بتلك النجوم فما أثأما

ملأت به بهجة ناظريّ
فصدّعت بي قلبه أعظما

أأحقر منشأه في البحار
ولولا تألمه ما نما

أأنكر عبرته في الحلي
ولم يبك الا لكي أبسما

فحسبي به زاهياً كالنجوم
وان فاتني حظها في السما

على الارض لا يخلد الحسن حتى
يقيم على نفسه مأتما! »

فيا ليتني إذ سمعت الحديث
عصرتك - لا أدمعا - بل دما

٢٦ ذي القعدة ١٣٥٩

قصص

توطئـــة

•

دِنتُ بالفنّ صغيراً منذ شبّ الطفل فيّه
لعبة ترعى مجاليها العيون النرجسيه
من رأى الخالق كالشاعر مختار رويّـه
كلما وقّع لحنا مثلته البشريه
فاذا المأساة والمهزلة اسم لقضيه
هي أسطورة حواء جرت في اثر حيّه
ان ترجّمها طيور الخلد أنغاماً شجيه
فهي في كوكبنا الارضي أوراق نديه
طالما خضلها دمع ضحايا المدنيه
غير ان الدمع هذا قطرات لؤلؤيه
عطّر الفنّ - بما ندّته من زهر نديّه

من أساطير اليونان

التمثال الحيّ

•

سكنت في الطابق المظلم من دار سويه
غادة لا تملك القوت وبالحسن غنيه
هي في الاسمال لكنّ لها روحاً زكيه
سلبتها كل شيء ثورة الا التقيه
تتلوى كلما أبصرت الدار خليه
أين عنها أبواها في ظلام الابديه
وأخوها جدلته في الوغى كف شقيه
فثوى والعَلَمُ الخافق يلوي بالتحيه
كيف لا تبكي .. وهل أبقى لها الدهر بقيه ؟

*

خرجت تعثر في الذيل الى جار قريب
عاش بين الناس في عزلته مثل الغريب
وخط الشيب على جبهته شبه الندوب
أين في الدهر فؤاد لم يروّع بالخطوب

وأتته وهو في معمله جد دؤوب
ينحت الجسم من الصخر فيأتي بالعجيب
ورآها وهي في الاسمال تمشي كالمريب
ومن الجوع على الخدين آثار شحوب
فانثنى يرمق ذاك الحسن في صمت رهيب

*

ودنا من جسمها المحموم ... لكن بفتوه
ما لها لم تضطرب منه ولا خافت دنوه ؟
ان في عينيه – لا غضها – نورَ النبوه
من هواة الحسن للفن ... وان غالى غلوه
وأحست كفه تنتزع الثوب بقوه
فأرادت ستر نهدين .. حياءً وصبوه
« انني أنثى .. ألا تشعر أني فوق هوه »
قال « كُفي ! أنت من شيئٍ في ظل الابوه
لو تجردتِ سما الفن بعطفيكِ سموه »

*

فرمت ما كان لا يسترها الا قليلا
ثم قالت « ومتى تطعمني ؟ » . قال « أصيلا »
وجثت بين يديه في تعرّيها طويلا
وهو لا ينكر من قامتها الا النحولا
فانحنى يمتحن الجسم .. فروعاً وأصولا

ان في إطراقها – مغمضة – شيئاً مهولا
ثم لما سمعته فاه بالحكم جميلا
نهضت تبسم في الدمع وقد سال مسيلا
«هل لهذا الحسن ان يخلد بي جيلاً فجيلا !»

*

وقفت عارية بين التماثيل كدرّه
تحمل الثغر على الضحك وفي العينين عبره
ومضى يقدر بالازميل في المرمر قدره
لم تحاول قط ان تثني جيداً فتضره
لبثت في وضعها ذلك يوماً مستمرة
انه يعمل للفن وهل فيه معره
هي لولا الجوع لم ترضَ بأن تصبر صبره
وهو في عالمه ... لو يدرك العالم سره
نظرةٌ يلقي عليها وعلى المرمر نظره

*

مالت الشمس الى الغرب .. وما زال مجدا
واستحال المرمر المسنون حتى صار قدا
فانحنت – من كفها – أنملة تسند خدا
فانجلى الصدر .. وفوق الصدر شيء يتحدى
واستدار البطن – في طيته – أحسن جداً
قال «لولا الجوع لم يبلغ من الغادة حدا»

ثم مد الراحة اليمنى على الفخذين مدا
إنه يخفي الذي فتنته عادت أشدا
فاطال الساق حتى شارفت في الكعب ضدا
ويراها قدماً يحلو لها ان تستبدا

*

ودجا الليل ... فلم يلق الى الغادة بالا
غاية الفنان ان يبلغ بالفن كمالا
فطوى الشعر على الرأس كموج يتوالى
فجلا الجبهة غراء كمرآة تلالا
فأرى لمحة عينين تطيلان السؤالا
فلوى في جانب الاذن من الصدغ هلالا
وأقام الانف كالابرة حسناً واعتدالا
ثم لما جاء للثغر رأى فيه احتمالا
قال « لو يفتر هذا الثغر لازداد جمالا »
واذا بالصوت – صوت الديك – صبحاً يتعالى

*

تمت الدمية ... لا ينقصها غير الحوار
فانثنى يضحك للغادة في شبه اعتذار
« أنظري صنع يدي فهو جدير باعتبار
انها معجزة خالدة .. مثل النهار ! »
ورآها لم تحرك شفة .. والجسمُ عار

فدنا منها وفي أضلعه جمرة نار
واذا بالخود في موضعها - مثل السوار
جسد من غير روح مستمر في انتظار
انما الثغر - كما يهواه - في حال افترار

*

وانحنى بين يديها باكياً سوء مآله
وطوى حاشية الثوب عليها - في اعتلاله
« أنا ادعوك .. وهل يسمع ميتٌ صوت واله
« أنا افديك.. وهل يجديك شيي في ابتهاله ؟! »
ثم ألقى نظرة حائرة نحو مثاله
فرآه يحدق الطرف .. ولا يرثي لحاله
فأتى في اليأس أمراً لم يكن قط بباله
اذ رمى قطعة صلد شوهت بعض جماله
ومضى يعثر بالشيء ويهذي في اختباله

*

وقف العالم ما بين الجماهير خطيبا
قال « تروي بعثة الشرق لنا أمراً عجيبا
بينما كانوا يجوبون الصحاريّ .. جنوبا
عثروا فيها بتمثال - سأجلوه قريبا
يعلم الله ، لئن ألفي في الزند معيبا
فهو ما زال على العيبة يستدمي القلوبا

إنه أجمل تمثال لحسناء أصيبا ،
وأزاح الستر عنه فاستهل الكل ، طوبى
خلدت في المرمر الصلد يد الفن حبيبا ! »

١ ذي الحجة ١٣٥٦

من مشاهد المسرح

قلب راقصة

مهداة الى روح الاستاذ الرافعي

•

في مسرح للغرب حيث الشمس تشرق في الليالي
ورواقه كالموج يزخر بالنساء وبالرجال
يتضاحكون.. فلا ترى الا الكواكب في اشتعال
والبنت يجذبها فتاها.. فهي تخطر في اختيال
طوراً هنا.. طوراً هناك.. لكل ركن فيه خال
والكل منهم مشرق الوجنات محبوب المثال
وقف الفتى الشرقي لكن قلبه في غير حال
تحت الشعاع يرى الجسوم كأنها بعض الظلال
ويكاد يفصح طرفه عما يكنّ من السؤال
« يا عين! حسبكِ ههنا ما تنشدين من الكمال
تلك الحقيقة بينهم تنساب في حلل الجمال
هل ترقبين بأن يزاح الستر الا عن خيال؟ »

*

ومضى يحدث نفسه لا يستقر به مكانُ
ويرى بناظره مفاتن ظل ينكرها الجنان
وما هذه الا السماء وتلك أنجمها ... الحسان
في كل ركن كوكب وبكل زاوية قران ،
حتى اذا أزف الدخول وطال بالجرس الأذان
وتهلل البهو العظيم بسر ما همس البيان
فكأن للأنغام أشباحاً لها في الرقص شان
هي والصدى أبداً كنار يستقل لها دخان
دخلوا جميعاً صامتين ... كأن صمتهمُ بيان
فمشى يوازن خطوه ويميس من طرفيه بان
حتى تخيّل انه ملك .. وتلك هي الجنان
وثوى على كرسيّه بهرا وليس له لسان

*

وانجاب ذاك الستر عن غيداء ترفل في صباها
تمشي وئيداً والحرير يشفّ عن أدنى خطاها
ملمومة كالوردة البيضاء في ورق حواهـا
حتى اذا وقفت ازاء الخلق يبهرهم سناها
نشرت ملاءتها الرقيقة من حواشيها يداهـا
ومشت تلوّح باليدين كأنها ترعى انتباهـا
وتدور دورتها فينعكس الضياء على حلاهـا
كم بالغت في الميل حتى كاد ان يطوى قفاهـا
ثم استوت فوق الأصابع كالحشائش في رباهـا

يهتزّ منها كل عضو نَعمةً .. حتى حشاهـا
ونهم طوراً ان يوازي موضع الأبهام فاهـا
فترى تفتّح جسمها كالأفحوانة في نداهـا

*

كانت تمثـل فتنة وتثير في الجمهور أخرى
وكأن بين ضلوعهم قلباً أبى ان يستقرا
يشتدّ في الخفقان عند دنوّها .. حتى تمرّا
لا بل يتابع موطأ الخطوات بالأنغام تترى
فاذا نأت أضحى بأعينهم يجاهـد مستمرا
حـتى يشاهد من شبابيك النواظر ما تحرى
وكأنها ألفت بهذا الحال منهم فهي سكرى
تغري الشبيبة بالفتون ولا تبالي حين تُغرى
وتظـلّ تلعب بالملاءة حولها طيّاً ونشرا
حتى اذا عطفت قبـالة ذلك الشرقيّ صدرا
ألقى عليها نظرة كالطفل .. بـل كانت أبرا
فتحسّ مهجتها لأول وهـلة بالحب .. سرّا

*

قالوا .. وكان فتى من الامراء ينفحها بمالِ
حتى تقوم بغذّها ربّا عـلى وجه الكمال
فاذا رأته تمثّلت في شخصه غرب النوال
فتشعّ عيناها على عينيه بالسحر الحـلال

وتصدّ أحيانا صدودا فيه ألوان الدلال
إما بارسال الشعور على ترائبها الصقال
او ضربها بيد التحيّة فوق حاجبها الهلالي
« أوَ كل هذا في سبيل رضاه باذات الجمال ؟ »
واليوم يشهد رقصها الفنّي لكن في انفعال
فيحنّ شوقا اذ يرى فيها الأنوثة في احتفال
ترنو رنوّ الظبية الكحلاء بين يدي غزال
هي حالة غير التي قد كان يعهد في الليالي

*

وتمرّ من قرب الأمير فلا تبادله ابتسامه
فيغضّ عنها الطرف مشدوها .. وتخنقه الندامه
وكأنما يستعرض الصور التي مرّت أمامه
اذ كانت الحسناء تحجب أفق مطلعها غمامه
هي لم تكن في مخلب الأيام الا كالحمامه
فاستنقذتها كفّه وتعهّدتها بالشهامه
واليوم ها هي أصبحت في وجنة الاحسان شامه
فيقوم كالمأخوذ من كرسيّه .. فترى قيامه
فتظلّ شاخصة اليه لعلها تبقي غرامه
والبهو بالخلق الذي يحويه يلتطم التطامه
وكأنما شفتاه تلفظ للجموع .. مع السلامه
فتخرّ فوق منصّة التمثيل بانخة أمامه

*

بقيت لَقىً[1] مثل الفراشة في تهافتها السريع
والناس تحسب أنها جرت من الرقص البديع
لما رأوها لاتحرّك ساكنا .. غير الضلوع
وعلى سماط الصدر فاكهتان ملء يد الخليع
حتى اذا أبدت فتورا كالذي اثر المجموع
وتمايلت طربا وهمّت في غناها بالشروع
ساد السكون على الجموع كأنهم صور الخشوع
غنّت غناء الأم أوّل ما تُهوّدُ للرضيع
فتبثّ ما في قلبها من صورة الأمل الرفيع
أرأيت نور الشمس صبحا كيف يؤذن بالطلوع ؟
ومضت ترجّع باللحون .. كأنها طير الربيع
ظلّت لها الآذان تشرق - كالنواظر بالدموع

*

ما أوشكت ان تنتهي من نبرة يحلو صداها
اذ رنّ بالتصفيق ذاك البهو تصفيقا تناهى
فتلفّتت محمرّة الخدّين من خجل عراها
مضمومة الكفّين فوق الصدر .. خائرة قواها
مفترّة الشفتين عن برد جلا لاثم فاها
فكأنّها معنى الأنوثة قد تجسّم في رواها
والكل يهتف أن تعاود فنّها ويقول « واها ! »

---

(١) اللقى : الشيء الملقى المطروح .

وتساقطت باقات زهر حولها خضل جناها
فتناولت زهرا ولمّـــا قرّبته الى لماها
ألفت به صوب الجموع لمن تعلّقـه هواها
واذا بزهرتها يفوز بها .. أتدري من فتاها
هو ذلك الشرقيّ في أحضانه عبقت شذاها

*

ثم استقلّ بها الستار ... كأنه قبر حواها
وتألقت في البهو أنوار المشاعل في قناها
وتحدّث الجمهور عنها ساعة .. حتى سلاها
وانفضّ ذاك الجمع . . لا عادت تراه ولا يراها

١٩ محرم ١٣٥٧

إنسانة الحيّ

●

استمرّت ذكاءُ شاخصة من مغيبها
وعلى اليد حولها أثر من شحوبها
صفرة ... شابها من الظلّ ما يزدهي بها
وكأن الرمال في لجّة من كثيبها
تارة تكتم الرسوم وطوراً تشي بها
وتوارت فأعلن الأفق منحى غروبها
ثم أرخى سدوله الليل ... تندى بطيبها
فتظلّ النجوم باسمة من ثقوبها
أيّ طيف أثار رحمتَها في قلوبها
إنها غادة على موعد من حبيبها

*

غادة في وجومها كالدمى البيض ساحره
من خلال الخيام تحدق في الليل حائره

تطرق الرأس كي تصيخ الى النوق سادره
ثم تلقي بطرفها حولهـــا كالمحاذره
لأقلّ القليل من همسات العبـــاقره
واذا قلّبتــــه ترسم في الأفق دائره
لا ترى في الظلام غير يد الله قاهره
يُثقل النوم جفنها ثم تخشى بوادره
فتناجي بكفّها أنجم الليل . . . حاسره
« جنّحي يا عرائس الليل باليمن طائره »

*

لمحت شخصه على تلّة من تلالهـــا
فتثنّت . . . كأنها بانة في اعتدالهـــا
بعد ان نفّضت عبـــاءتها من رمالها
ومشت – كالقطاة – ناهدة في اختيالها
وهي توحي لصدرها خفقات انتقالهـــا
ثم حيّتــــه عند نار قرى في اشتعالهـــا
لم يكن حولها ولا واحد من رجالهـــا
وعلى ثغرها ابتسام جزى عن مقالهـــا
فرأى ما يزيد في حسنها من دلالهـــا
ظبية في كناسها ملء عينيْ غزالهـــا

*

طلعـــا فوق ربوة رفّ كالليل ظلها
وعـــلى قلّة من الرمل ضافٍ محلهـــا

من وراء الخيام حيث تُرى البيد كلها
بسطت كفّه الرداء الى من يجلها
خشية ان يمسّها من ندى الأرض طلها
وهناك استمر في حظوة لا يملها
لم يعب حسنها سوى أنه يستقلها
ظمأ في لهاته هل لها ما يبلها
غير أنفاس ساعة في الدجى يستغلها
فتعاطى من الحديث مُداماً يعلها

*

ناولته يمينها فحنا فوقها الشفاه
هامساً بين قبلتين - تشفّان عن جواه
بلسان مبلبل - بعض ما جاش من هواه
واسمها في حديثه دائر دورة الحياه
ثم القت بطرفها في فتور الى الفلاه
فترى في شروفه قمراً مرسلاً سناه
يملأ البيد فضة دونها فضة الغزاه
فتناجي حبيبها لو يراه كما تراه
أفيُلقي لغيرها باله . . . وهي في سماه
إنما في سواد ناظرها كل مشتهاه

*

هاهما - والنجوم ترعاهما - وهي زاهيه
صورة حلوة لقرّة عين بثانيه

انهـــا كالرضيع بـين ذراعيـه غافيـه
وإلى الشعر من غدائرهـا في ترامـيـه
أرج كالنسيم ينفح من كل ناحيـه
كلما سرحت اناملها فيـه ساهيـه
مال من فوقها لينشدها فيه قافيـه
ثم يغزو بثغره ثغرها .. من حواشيـه
فيمس الشفاه وهي تحـاذيه راضيـه
ربما تصبح الشفاه من الحب داميـه

*

تصهر الشمس جمرة القيظ في البيد ثانيـه
فتبين الرمال بين يديهـا كما . هيـه
وعـلى الرمل حبّة من لآلٍ ثمانيـه
هي قبل الصباح كانت على جيد غانيه

٢٣ جمادى الاولى ١٣٥٧

من اصداء البحر

بين عشية وضحاها

•

١

علـى شاطئ البحر في قرية   تـلوح بعزلتها الدائمه
كأن الدجى لفها بالسكون   فما برحت دهرها نائمـه
تطل عليها عروس النهـار   فتلبث في جوها حـالمه
وللبدر في افقهـا قبلة   تطول . . . ولكنها ناعمه
بناء يـذكّر سكانهـا   بشامخ أبنيـة العاصمـه
يقيم به نائب . . . امره   مطاع . . . وسطوته غاشمه
فلو أيقظ البحر أمواجـه   لمرّت بأعتـابه لاثمـه
كـذلك كان شعور السواد   من الذل نحو اليد الحاكمه
واكواخهم وسط هذا الاطار   تموج بالوانهـا القـاتمه

*

وتفتح نافذة القصر "خوذ" مساءً . . . وتمعن إمعانهـا
فيحلو لها أن ترى الشمس تسجد سجدة شكر لمن زانها
وهبها توارت وراء الغيوم   فهل تنكر الارض إحسانها

ويعرض مرآته البحر حتى تجمّل - سافرة - شانها
وأمواجه في هدوء امام النسيم تلملم أردانها
فلا هو يتركها تستقر ولا هي تهجر شطآنها
وتبصر في قارب فتية تمدّ الى الصيد أشطانها
فيغمرها فرح بالحياة فتعلن للقصر عصيانها
وتخرج نشوى على رمله تردّد كالطير الحانها

*

وتركب في زورق كالهلال يعوم بها نجمة زاهره
فتأخذ في جذفه باليدين وفي صدرها موجة زاخره
ويلثم فاها نسيم الأصيل فيندى بأنفاسها العاطره
الى ان تغيب وراء السديم بعيداً باحلامها الطائره
ويدركها أول الليل عند فنار . . يغضّ لها ناظره
فتشهد مركزها في الظلام ومن حولها الافق كالدائره
وتلمح من بعد قصرها يدلّ بأنواره الباهره
فتثني أعنتها للرجوع . . . . ولكنها ترتمي خائره
ويستيقظ البحر بعد الهجوع ليملي ارادته القاهره

*

ويشرق احساسها في الصباح ملياً على همسات البشر
فتملكها رعشة للذي يمر على ذهنها من صور
وتذكر ما كان من حظها ومن حظ زورقها المنكسر
وكيف تقوم بها موجة وأخرى على جانبيها تمر
فتصرخ صرختها للحياة وفي حلقها نَفَس مُحتضَر

فتمتدّ كف لأنقاذها من الغيب... ذلك ما تدّكر
وتشعر بالدفء تحت اللحاف فتعجب كيف احتوتها السرر
وتفتح ناظرها بعد لأي على شبح قائم ينتظر
يناشدها وعلى ثغره بنان تشير بأن تستقر

*

وتستغرق الخود في نومها وتأخذ حظّاً من العافيه
ويفترّ في شفتيها دم كطلّ على وردة زاكيه
وتحت يديها يزلّ النصيف عن برعمي صدرها ناحيه
وملؤهما عزّة بالجمال جمال أنوثتها الغافيه
فيحنو عليها الفتى في خشوع ويستر أطرافها العاريه
ويعزف لحناً على عوده يذكّر عهد الهوى ناسيه
وينبعث النغم العذب من تململ أوتاره القاسيه
الى ان تفيق فتاة القصور وتطرف أهدابها ثانيه
فتبسط راحتها كالغريق وفي ثغرها قبلة طافيه

*

ويسألها عن عهود الصبا وأترابها في القرى .. من همُ
فتغضي حياء .. وفي رقة تبوح له بالذي تكتم
« يداك تجودان لي بالحياة فشكراً على الجود يا منعم
وهبتك قلبي فخذني اليك ومرني أطعك بما تحكم »
وتلبث في صمتها برهة ليفهم منها الذي يفهم
ولكنه لا يحير الجواب كمن رابه أمرها المبهم
فتنطق باسم أبيها له وتبسم .. يا حسن ما تبسم

فينفر منهـــا نفور الظليم   وقد ثار في مقلتيـــه الدم
«أأنت ابنة النائب المستبد   وأهواك .. اني اذن مجرم»

*

فترجع للقصر عنـــد الاصيل   طريدة آمالهـــا الخائبـــه
قضت يومها حافـــلا بالشعور   كأحفل أيامها الذاهبـــه
فتشعر مثـــل شعور الغريب   وان لم يطل عهدها غائبـــه
فترنو الى البحر .. حتى تراه   يسيّر في موجه قاربـــه
فتنشده حبهـــا لو يصيخ   وتذري له دمعها عانبـــه
«أيا حاسراً زنده للبحـــار   تـــذوب له حسرة كاعبـــه
أسأت بي الظن حتى خجلت   ولم تـــك في نيتي شائبـــه
ضربت بحبي عرض الجدار   وأنكرت من سؤددي جانبه
وغاظك أن أبي ظـــالم   ألست بظلمك لي صاحبـــه»

*

وتخنقها عـــبرة في النعيم   تلهب من لونها شاحبـــه
ويمضي لطيّتـــه ضاحكاً   يؤدي - على بؤسه - واجبه

٢

توالت على القصر عشرون عاما   أسابيعهـــا مثل أعيادهـــا
توافي الفتاة عروساً .. فزوجاً   .. فأمـــاً تحنّ لأولادهـــا
وأعلقهم بحشاهـــا ابنـــة   فدتها الأهالي بأكبادهـــا
تغني .. فتصغي اليها الطيور   وتطرب من حسن انشادهـــا
وتلمح صورتها في الميـــاه   فتضحك من قول حسادها

ولو انها نزلت في الجنان لأزرت بأجمل أورادهـــا
يخف اليهـا نسيم الربيـــع يذكرهــا يوم ميلادهـــا
ووالدها غائب في البـلاد يقوم بتنظيم أجنــادهـــا
فيكتب مستملحاً لو تسير اليه فيحظى باسعــادهـــا

*

وتصحبها امهـــا للسلام على زوجها .. وهي لا تبتسمُ
فقد علمتها صروف الزمـان بأن الطلاقة شيء يـــذم
بذم ، ولابنتهـــا نظرة تبش الى كل وجه .. وفم
وتجري بها الفلك وسط البحار وأمواجهـــا دائمـــاً تلتطم
فتلقي بها تارة كالدلاء وترفعهـا تارة كالعـــلم
الى ان يلوح لها - حيث لاح قديماً -. فنارٌ بنير الظـــلم
فتذهل واجمة . . . كالذي يرى شبحاً في ثنـــاياه دم
وتذكر حباً خلا في الوجود لشخص طوى صفحتيه العدم
فتبسم . . لكنّ في نفسها مرارة ذكرى تثـــير الألم

*

على ان ذاك الفتى لم يمت فقد صار نابغة في الفنون
تلقى من الكون إلهامَـهُ ومثّـل آياتـــه في اللحون
فما هي الا الضحى في امتـداد وما هي الا الدجى في سكون
كأنّ على يده العود طفـــل يبثّ الورى شجوه بالأنين
يرنّ .. فتقطر منـه القلوب وتأخذ موضعهـــا في العيون
ويصغي اليـــه المحب الغيور ويدرك في الحب سرّ الجنون
وتنعطف الأم نحو الرضيع وفي صدرها جدول من حنين

ويحلم بالمجـــد طرف الجبان   وان ذاق في المجد كأس المنون
لأن المعانيَ من كل لون   تفوز بمجاوبتهـــا في الرنين

*

ويبصرهـــا وهو في محفـــل   يوقّع أنغامـــه في الغَزَل
وقد حوّل الصمت تلك العيون   شفاهـــا .. تدلّ على ما تدل
فيذكر زورقها في الظـــلام   ومشهدها تحت ناب الأجـــل
فيشعر بالوخز – وخزِ الضمير   – على قطعـه حبلَها المتصل
فينشد .. والعود بـــين يديه   يرجع كالطفل ما يرتجـــل
« أما كان حاضرنا – يا هلالُ –   عشيّة ضاقت عليهـــا السبل
فألقيت نفسيَ وسط الغمار   و دركت فيها بقايا الأمـــل
كأني – وقد حضنتها يداي   – أودّ لهـــا في ضلوعي محل
ولو نزلت في صمـــيم الفؤاد   لعزّ على غلّـــتي ان تُبل »

*

وتطرب من لحنه البنت حتى   تناشده ان يعيـــد الغزل
وتسأل عن شأنه من يكون   فتجذبهـــا أمهـــا بالعجل
وتهمس في أذنها دون أن   يرى الحفل ما مسّها من خجل
« بنيّةُ ! هذا فتى من قراك   تعرّف بي في الصبا المرتحـــل
وخيّل لي أنـــه ميّت   ولكنّ لله شأنـــاً أجل
أغرّك منـــه النسيب الجميل   عـــلى ثغره يشتهي كالقبل
دعيه .. فعهدي بقلب طواه   – على فنه – مقفراً .. كالطلل »

١٧ رجب ١٣٥٧

الشاعر المجهول

مهداة الى الاستاذ دربني خشبة تقديراً لفنه الجميل

●

١

سمعت أختهـــا تغني بشعر   فيه من لفحة الجنان بقيّـــه
وهي تحبو المرآة بين يديها   باختلاج الجفون شبه تحيـــه
فأحسّت احساس « حواء » لما   نظرت في معالم الأبديـــه
وتراءت لهـــا المعاني زهوراً   خضّلتها الدموع فهي نديـه
فأصاخت .. وقلبها في وجيب   تتملّى من اللحون الشجيـــه
واختفى الصوت في صداه ملياً   من رأى كيف تخفت القمريه..؟
فاستدارت بوجهها ثم قالت   كالتي في فؤادها أمنيـــه
« انك اليوم تشعرين بوجـــد   فمن العاشق؟ اصدقيني أخيّه!»
فتلقت سؤالهـــا بابتسام   لاذ فيه الحياء بالسخريـــه
« أنت–والله–لاسواك سباها   شاعر نجهل اسمه بالسويه »

*

فرنت نحوهـــا رنوّ غزال وطئت رجله على الأشواك
« عجباً .. أنت تنكرين هواه فلماذا غنّت بـــه شفتاك ؟
أنت لا تشعرين بالوجد.. لكن أثر الوجد ظاهر في غناك
كل بيت كأنه قبـلة خـصّ بهـا الشاعر المتيّم فاك
ليت شعري! أكنت تروين شيئاً عنه لو لم يكن بحقّ فتاك
أو أعياك عن جوابي لسان أوقع الحبّ أمره في ارتباك »
فاعترى أختها سكون وقالت « أنظري! كيف تعلنين هواك
أ كتمي ما أردت.. لا تستطيع الـهدب ردّ الدموع بالأمساك
أنت ترجين ان أبثك ما بي ثم تطوين عن فؤادي مناك
ما الذي أنكرته أذنك الا وتروّ رنّ في عين ملاك »

*

فارتمت كالذي أصيب بـــبرد تنشد الدفء في جناح الأخوه
واستقرّت برأسها فوق صدر لم يزل باذلاً اليهـا حنوه
فحوتها يدان عوّضتا في حالة الضعف بالمحبـة قوه
ويح قلب المشوق.. لو فضّ عنه خاتم الغيب لم يغالِ غلوه
وجرى دمعها سخيناً.. وأعيى قلبها ان ينال منه سلوه
« فدتك أختاه، لم أرد بك سوءاً أنت مثـلي محسودة بالفتوه
غير أني أشفقت ان تقذفيني وكلاني على شفا جرف هوه
ان هذا الذي سمعت نشيد لهزار في الجوّ يعـلو علوه
هو من مرتقاه يحدو كلينا لو دنونا من الألـه دنوه
رتليه .. ثم احكمي بالذي شئت على شاعر .. بروحي سموه »

*

(أنا في هيكل الطبيعة عود   قائم وسط مجمر في اتقاد
واللهيب الذي تصاعد منه   هو في وجده لسان ينادي :
« يا الهي ! جهلت كنهك لكن   في مرايا الوجود ظلك باد
كلما جال في الطبيعة طرفي   خلت حياً ما لاح لي من جماد
كم ارى في السحاب يبكي على الارض   مثالا للوعة الاكباد
كم ارى في الورود تلطمها الريح   خدودا تدمى من الاجهاد
وكأن الحياة ديوان شعر   لم تكن فيه غير معنى معاد
ان في العين ومضة لبروق   تتحدى - بالصمت - رعد الفؤاد
والذي غادر العقول حيارى   سر هذا الجمال في الاضداد
كل شيء اراه اتقن صنعا   كأحبه .. بدافع من وداد
فلأعزاز من – تباركت يا رب ! – تعالى يداك في الايجاد ?)

*

رتلت بعضه بلحن حزين   ثم القت على البقية نظره
وامرت على الجبين يداً ترعش – كالطفل – مرة بعد مره
ثم قالت « أليس فيه غموض   حبذا لو جلا لسانك سره
أنا لا أغبط الفتاة التي تحمل شوكاً – لان كالورد عطره
هل أرى البحر زاخراً بين جنبيّ   وأرضى من الحياة بقطره
لك ان تضحكي اذا شئت مني   – في سرار – فلن ارقرق عبره
قبدتني بالارض آمال نفسي   فبميزانها أحب واكره
اي نفع أجنيه ان طار قلبي   اثر شاد أحلامه في المجره
غرني شدوك الطروب .. ويا خيبة من يستميل شدوك صدره

اي حسن في مقطع من نشيد   كل معنـــاه في تلهب جمره »

*

ثم عادت تقلب الطرف في المرآة .. والوجه زانـــه الاشراقُ
جسد شف عن تقاطيعه قرطف صيف – كمزنـــه رقراق
تحته هيكل يدل بنهديها . . وفي عزفه المعاني الدقـــاق
ان في عقـــده لدراً ثميناً   هو اغلى من كل دمع يراق
ورأت اختها تطيل اليهـــا   نظرة – ملء دمعهـــا اشفاق
فاستمرت تقول « ما الشعر ديراً
لبتول . . بل جلوة وصـــداق
ليت شعري ! ماذا عرفت عن الحب سوى انه دموع تراق
ذاك عهد مضى ونحن بعهد   شرعُه الحبُ نظرة فاشتياق
نشرت امس في المجلة غفلا   قطعة – كم خلت عليها رفاق
أنا عصرية . . أحب من الشعر الذي فيه قبلة . . وعناق »

٣

خطبوها اليه بعد جهـــاد   دام في درسه « الحقوق » طويلا
ذات حسن .. حازت تراث أبيها   مع أخت أشدّ منهـــا قبولا
فهما تسكنان قصراً على شا   طيء نهر عن المحطـــة ميلا
وتمرّ الأيـــام وهو عزوف   عنهما لا يجيب للقلب سُولا
فاذا زار زار عن غير وعـد   مثقـــلاً بالهموم مضنى كليلا
فيوافيهما معـــاً تحت سرح   حيث لا تعدمان فيئاً ظليلا
فيرى عرسه أليفـــة صمت   مثلما أنهـــا تراه ملولا

ويرى أختهـــا تشاطره الوّ   د.. وكم كان من هواها خجولا
فاذا قـــام عنهما شيّعته   برجـــاء ألاّ يغيب طويلا
أهو في أفقهـــا سحابة صيف   فهي تخشى من ظلها ان يزولا ؟

*

وتلاقيه ذات يوم وحيـــداً   سائراً في طريقه .. فتريده
ويسيران - بعد - جنباً لجنب   هي تحكي وما حكته يعيده
تحت أفياء كل غصن رطيب   لأقـــلّ الصبا يطول سجوده
واذا افترّ ثغرهـــا بابتسام   عاين الدرّ كيف يزهو نضيده
ويعود الحديث في الزوج حتى   يتجنى بأنهـــا لا تفيـــده
انهـــا لا تحسّ بالشوق الاّ   حين يأتي من الضواحي بريده
فاذا حلّ قصرها هو .. لاذت   بسكوت تضيع فيه جهوده
« لا تقولي بأنني لست أهوى   مثلها الشعر.. كم حلا لي جديده
غير أني أضيق ذرعـــاً بنفس   تتغنى بـــه وليست تجيده
هاك في الشعر قطعةً من غرام   نشروها غفلاً.. فداك عميده »

*

شهيد هواك

(أذرف الدمـع حسرة للقـاك   وأبثّ الذي أكنّ.. سواك
هل يموت الغرام الا ليحيـا   كلما جـدّد النوى ذكراك
هكذا دائمـاً أقضّي نهـاري   مبسمي ضاحك وقلبيَ بـاك
فاذا مـا خلوت ليـلاً بنفسي   حفلت بي في نجمـه عينـاك
ليس بـين الضلوع غـير فؤاد   خافق لم أزل بـه أرعـاك
واو اني ملكت قلبـاً سواه   لرعى صنوه هواك - كذاك

فاقبلي في الأقل - ان لم يكن حـظ اللقياك - قلب من يهواك
جـلّ ما أرتجيه حين أوافيـك على ان أبلغ الحب فـاك
فأريني كيف السبيل فقد أشـ ـقاني الحب ان أنـال رضاك
واذا لم يكن من الموت بـدّ فاتجـد لي بكأسه يمنـاك
فهنـائي في ان أخرّ لعينيـك صريعاً - أقضي شهيد هواك)

*

فارتمت في ذراعه وهي سكرى
مغمضٌ جفنها عـلى أحلامه
ثم قالت « لا فض فوه لقد تاق فؤادي له بدون لثامه
ماله ساتراً عن الناس وجهاً لمحوه كالبدر خلف غمامـه
حبذا لو عرفت من هو حتى اتغنى بشعره . . في غرامه
قد حفظت الكثير منه وكل سلك الدر متقناً في نظامـه
لو كذا يفصح الذي يضمر الحب للاقى شفيعه في كلامه
أي قلب قاسٍ تولاه حتى يرتضي في سبيله بحمامـه
ورأت دمعة ترقرق في عينيه حتى تسيل . . من آلامه
فتحس الذي يحس من الوجد فتدنو . . وثغرها في انضمامه
ثم يفتر للشفـاه التي تحبس انفاسها - عـلى استسلامه

*

وترى اختها القصيد فتلقي نظرة نحو زوجهـا بحياء
أو ما في فؤادها هي ايضاً خفقان على الحبيب النـائي ؟
ثم تفضي برأيها في سكون ألفته من عادة الاصغـاء
« ان هذا النشيد انغام نفس وقعت في حبـائل الاغراء

هبطت من علوها .. فهي تشكو حماً مسها من الغبراء
أنظرا ! كيف صورت شبح الموت قريباً – لأنها في شقاء
هي قد لا تحس في الحب الا عربة الجسم .. غارقاً في الدماء
أنا في الحب لا احس كهذا وهل الحب غير لحن الرجاء ؟
حبذا لو اطبق للشاعر المجهول شكراً – على اليد البيضاء
أنتما تنكران صمتي . . ولكن أنا أحيا في عالم الشعراء »

*

وتوالت على لقائها عشرون يوماً ما قر فيها قرارا
انه كالسجين في القصر من حب التي لا يطيق عنها اصطبارا
وهي الآن لا تحوم قريباً فاذا صادفته فرت فرارا
هي اغرته ساعة من نهار أسدل الليل دونها الأستارا
هي تأبى عليه – حين يراها حرة في ابتذالها – أن يغارا
أي شأن له . . وثمت فتيان كثيرون فهم لا يجاري
هي في لهوها ترى متعة بينهم في اندفاعها أطوارا
انه لا يكاد يشبه إلا ظلمة . . وهي شعلة لا تواري
انه يستغل إحساس شخص آخر حين ينشد الأشعارا
ثم . . يلقي البريد صحفاً فتتلوها وكالورد وجنتاها احمرارا

٣

غمر الصيف بالسكون ضحاياه فهم يحلمون في الخلوات
كاد حتى النسيم يغدر بالروض فان هب هب في فترات
فهي تلقاه كل يوم على الشاطيء في زمرة من الفتيات

في لباس من الحرير لصوق   شفّ عن كل جسمها للهواة
فتحييـــه بابتسام .. وترجو   لو درى مثلهن معـــنى الحياة
هـــذه تنظم الغدائر شعراً   تلك تلقي بهـــا على الوجنات
كيف يجرين في الرمال ويقذفـــن بها بعضهن في الـــنزوات
ان في البحر نشوة للعذارى   كم جـــلا حسنهن كالمرآة
كل جسم كأنه – حين يطفو   عاطلاً – قطرةٌ من القطرات
فاذا ما ارتشفن بالماء قالت   موجة «هاك» ثم تعقب «هاتِ»

*

هي لاتسأم السباحة.. فالمـــا   ء على جسمها كطيّ الحرير
كلما طال مكثها فيه قامت   لانتشاق الهواء فوق الصخور
ثم تلقي بنفسها فيــــه أخرى   دون ان تستريح – كالمحرور
فيراها تغيب عنهن حـــتى   تتراءى كنقطة في سطور
لا تزال المياه في غفوة الصيـ   ـف .. ومن فوقها بقايا النور
ويطول انتظارهن لها فتـــرة عمر . . يخلنها كالدهور
فيحققن..دون جدوى .. كأن البحر وارى عروسه في الستور
ويدورون بالزوارق في الظلمـــة حتى يجين وقت السحور
لا تبين النجوم في الليـل للبا   حث عنها الا كشمع القبور
ثم يلقونها غداً . . جثة يحمـــلها الموج كفّنت بالشعور

*

ويحزّ المصاب صدر الذي غـــادره موتها وحيد شجونه
كلما يذكر « اللقاء » وما أعـــقبه من نفارها وحنينـه
أين ذاك الثغر الذي نال منـه   قبلة .. ثم لم تكرر لدونـه ؟

أين ذاك الصدر الذي مس فيه خفقان الفؤاد تحت سكونه ؟
أين ذاك الوجه الذي كان يلقى باسماً للحياة في كل حينه ؟
أين ذاك اللسان يتلو عليه كل ما طاب في الهوى وشؤونه؟
ثم يغشى عليه من كثرة الحزن .. ويمضي الساعات نضو أنينه
فاذا ما أفاق ظل على الصمت كئيباً مستوحشاً من خدينه
وأتته بجرعة ذات يوم فرأته في غمضة من جفونه
وعلى صدره صحائف شتى كان في بعضها بخط يمينه :

*

ليلاي

(ليس يحنو بغير مرآك قلبي انه دائماً يحن لقربك
فاذا ما نأيت حدّد بالأنغام ذكراك .. فانشدي الليل يُنبك
غبت عني .. فأظلم الكون في عيني - ولم يبق مشرقاً غير حبك
شيّعتك الدموع لما توآيت - كما شيّعت فؤاد محبك
أيها الليل ! هل لبست حداداً بعد ليلاي أم خبا نور شهبك ؟

*

انني ما حييت الا لحبك ليت أن الحبيب مثل المحب
كل ما في الوجود ينطق عن حسنك - ان لم يبث لوعة قلبي
فاسمعي في الطيور لحن يُشجي مثلما في الزهور عطرك يصبي
ان يكن في الورود حمرة خديك فـان النسيم نفحة حبي
فالحظيني نظرة بأنها الشوق .. والا قضيت في اليأس نحبي)

*

أدركت حين ذاك ان الذي تهواه في حلمها هو .. المسكين
انه ربّ كل فن جميل عرفته منذ استبتها الفنون

عجباً ! كيف عاش تلك الليالي معها وهو عن يديها مصون
كان منها كدمعة - بسبح الابسان فيهـا ولا تراها العيون
انهـا لم تغنِّ قولَ سواه وهو اليوم لا يكاد يُبين
أي قلب يرضى بحال كهذا ؟ أي دنيا شجته منها شجون ؟
ثم ألقت على محيّاه طرفـاً ساكناً .. إنّ صمتها لأنين
قرأت في شحوبـه شبح الموت .. أبعد اليقين بعدُ يقـين ؟
وأحسّت بحرّة في حشاهـا علّمتها العذاب كيف يكون
فارتمت فوقه تناديه والدمـع على خدّها الأسيل هتون :

*

« أنت يا من عبدت طول حياتي وحيّاك عشت مثل الشقيقـه
ليت أني عدمت احساس قلبي حين أنكرت في الضلوع خفوقه
يا فؤاداً شدا المحبون طرّاً بهواه .. أنّى جهلت طريقه ؟
لمَ - قل لي - كتمت أمرك عني ألأني بذاك غير خليقــه ؟ »
فجرى دمعه وقال « احضنيني جفّف الموت من لسانيَ ريقه
كل ما تنشدينه هو شعري كم شعور أحسسته في الدقيقه
وبياني أراك معــنى التجلي وغرامي الذي رشفت رحيقه
غـير أني كمثل غيري انسان وقد كنت تحسبينيَ فوقـه
خفت - في الكشف - ان يسوء بقلبي
ظـنّ من لا تزال تجهـل ضيقه
أنا ذاك الذي عشقت خيالاً ثم أعرضت عنه وهو حقيقه »

٢ ذي القعدة ١٣٥٧

التوأمان

•

١

رآها الليل عاكفة على مهدين .. في شغف
فأن حياتها بهما كظل الروضة الأنف
وتبعث روحها فيما تغذّيه من النتف
فتسفر عن محاسنها كواكبه من السجف
وتصغي وهي من نور الصباح على شفا جُرُف
فإن سمعت بكاء التوأمين ... أتتك في لهف
فتبسط راحتيها حين يقتربان في ضعف
لتعطف صدرها ... فكلاهما كالعاشق الدنف
يبغّم عن محبّته خلال حلاوة الرشف
هما في حضن أمهما كلؤلؤتين في صدف

*

وتأتي بعدها عشر تمرّ كأنها حُلُمُ
فكم من عثرة بكيا لها ... والأم تبتسم

وكم من لفظة نطقا بها .. خجلت لها النظم
وكم قادا جيوشاً كان يخفق فوقها العلم
فظلت حيث كانت .. ما تحرّك تحتها قدم
وكم من حكمة حفظا وكرّر رسمها القلم
ولو سئلا عن المعنى لمطّ فاهما السأم
وكم تاها ... ولون الافق لا ورد ولا عنم
وعادا في جناح الليل ... اذ راعتهما الظلم
وعين الأم ساهرة وملء فؤادها ألم

*

وحلّت تحت بيتهما فتاة كلها سِحْرْ
كأن جبينها فلك تسنّم أفقه بدر
وفي العينين عمق تجتليه الأنجم الزُهر
ولم يفترّ عن شفق كحسن شفاهها فجر
وألّف بينهم ودّ كمثل الروض يخضرّ
فصاروا يلعبون معاً يسود حديثهم طهر
ولكن ظلّ رغم الأنس في ألحاظها سر
تهم بنطقه الأهداب لولا أنه نكر
فيخفق قلبها – إن قبّلت – والوجه يحمرّ
كأن الأرض تصرخ للملائك أنها .. بكر

*

وتدرك سرّ ما خلقت له – من قبل أن تقعا
فتسبل جفنها خجلاً وتمسك صدرها فزعا

ويصبح قلبها مرعى لحبّ التوأمين معا
فلا يتمتعان بلحظها إلا إذا اجتمعا
يشع على حياتهما جمالا حيثما سطعا
وكم وجدوا لهم في عالم الأحلام متسعا
فيغمرهم شعور واحد بالبدر إن طلعا
وبالأزهار ضاحكة كأن حياءها خلعا
وما طير شدا إلا ويلفى الكل مستمعا
كأنهما وإيّاها لباناً واحداً رضعا

*

ويخلو بالفتاة أخ فيدعوها . . . الى الغابه
هنالك حيث شاد الطير للصلوات محرابه
هنالك حيث يحصي النحل بالنغمات اسلابه
هنالك حيث يدلي الغصن في التيار جلبابه
وينفض من جديد تحت نور الشمس ما شابه
هنالك حيث يفتح كل زهر للغنى بابه
وبين يدي غدير يلعب العصفور العابه . . .
فتغضي طرفها عنه وتبسم وهي مرتابه
وتذكر غائباً لم يبد حتى اليوم اعجابه
فتسأل « أين راح أخوك » . . قال « يزور أحبابه »

*

وتصحبه الى الأدغال في صمت – يداً بيد
هنالك حيث يحيا الحب من دنياه في رغد

وتبقى في تطورها الحياة ... كأنه أبدي
فتبصر طيفها في لمعة من ذائب البرد
وتسمع همسها في فتحة النوّار وهو ندي
وعدّا ساعتين من الضحى في خطو متئد
عيونهما ترى الأغصان في ألوانها الجدد
ولم يسمع حديثهما سوى قمريّها الغرد
فظل يعيد ما لقفته أذناه من البعد
... أتهواني ... أتهواني ...
.. سلي كبدي .. سلي كبدي ..

*

وجاوز باب غرفته من الحمى على مهل
فزفّت أمه البشرى اليه بصوتها الثمل
« بنيّ ، أخوك غادرني قريباً .. وهو في جذل
فقد رضيت بخطبته لعوب خطا كما الأول »
وتشهد – ما يريب الأم في وجه ابنها الخجل
فتفهم ما يخالجه لها في مفرق السبل
ويرمي نفسه في حضنها كالطفل في خبل
فتمسح ما يغشي الضعف جبهته من البلل
وكم ودّت لو أنّ اخاه أخّرها الى أجل
فيهتف من قرارة نفسه « واضيعة الأمل ! »

*

تراه الحور عند خطيبها .. كالشمس في الطفل

يقدّم – وهو مصفرّ – نهائنه الى الرجل
فتسأل أين غاب نهارَهُ فيجيب : « في عمل » .
فترفع اصبعاً وتقول « لا تكثر من العلل
ألم يقض الندامى يومهم في الكأس .. والقبل ؟ »
فيرفع طرفه دهشاً فلا تحكي سوى المقل

*

وتنفض عن ذوائبها الغزالة وردة الأصل
وتغطس في مياه البحر عارية على عجل
فينسل العريس بها الى الأنغام .. والغزل
ويرخي الليل حول تعانق الروحين بالسدل

*

وظل أخوه لا يلوي على شيء سوى فنّه
فيحمل كل صبح علبة الأصباغ في ردنه
ويمضي باحثاً في الغاب حيث الطير في وكنه
يحن لألفه .. فيقطّر الألحان في أذنه
فيشهد عالماً يصبو اليه القلب في سنّه
وريشته تؤدي للجمال الدّيْنَ عن جفنه
فتظهر كل شيء دامعاً .. في منتهى حسنه
وكان أشدّ ما يصبيه قمري على غصنه
يرجع كالصدى ماكان يأمله فلم يجنه
فكان يزيد من ترجيعه حزناً – على حزنه

*

وتبقى الغادة الحسناء في ذكراه كالندّ
تعطّر كل خاطرة تمرّ عليه في الودّ
وكم يشتام موقع خطوها في الغاب .. لو يجدي
يودّ لو انه يهوي بقبلته على الورد
لعلّ الورد يهمس ما رأى في سالف العهد
فلا يجلو على لوحاته الا بما يبدي
وكانت لا تطوّف حوله - الا على بعد
فيبصرها تحير له وراحتها على الخد
فان قربت اليه في تجولها بلا قصد
أحسّ كانما رفّت عليه ملائك الخلد

٢

أطلّ البدر من عليائه .. والريح مجتاحه
كأن الليل أطلق من عقال الاسر أرواحه
فيبصر قائداً في خيمة متوسداً راحه
يقلّب طرفه فيما أحاط بها من الواحه
وقد صبّ الحمام على وقود الحرب أقداحه
فقلب الجيش في سنة وقادمتاه في راحه
ويغمض طرفه ... للذكريات ... تثير أشباحه
فيذكر كيف ودّع أمه ومشى الى الساحه
وكيف تشبثت بيديه أخرى - وهي ملتاحه
تود لو ان نظرتها تدير لقلبه راحه

*

وتأخذ جفنه سِنَةٌ فيستلقي كمسحورِ
وتلعب ربة الاحلام في عينيه بالنور
فلا تبقي بعالم نفسه أثراً لديجور
وتجمعه بها هي مرة أخرى ... بتغرير
بوادٍ ضاحك الارجاء نامي الزهر ممطور
تهزهما هنالك للهوى انغام عصفور
فيبسط راحتيه لها وما شيءٌ بمحظور
وحين يضمها فرحاً بقلب شِبْهِ مخمور
يرى من خلفها طيفاً وأسراباً من الحور
يحس كأنها تبكي على نفثات مصدور

*

وتؤذن في السماء يدٌ نجومَ الليل بالغرق
فينهض شاحباً من نومه ... لتورّد الشفق
ويجزع من مغبة ما جنى في حالة النزق
ويرشحُ كالحُزام جبينُه لأساه بالعرق
فيأخذ بندقيته ويخرج بادي القلق
ويلقى الخيلَ مُسْرَجةً على الثكنات في نَسَق
تعض شكيمها وتدير حول الجيش بالحدَق
وتأتيه العيون بكل ما خطت من الطرق
فيأمر بالهجوم ضحىً ويضرمها الى الغسق
و... يطفيء في غمار الموت ما عاناه من حُرق

*

ويبلغ أمه نبأ سرى في الناس كالنسم
بأن الجيش عاد مكللاً راياته بدم
ويدوي في مسامعها صهيل الخيل في الأجم
فتسرع نحوهم لتقر عيناً بابنها القرم
فتذهل . . . إذ ترى تابوته قد لُف بالعلم
تشيعه على ضخم المدافع أشجَنُ النغَم
فتغشى نورَ عينيها غشاواتٌ من الظُلَم
فتسقط بين احضان ابنها الثاني من السقم
فيحملها الى بيت العروسة عاثرَ القدم
كئيباً .. حيث ينعاه لحسرتها . . . بلا كَلِم

*

وُتلقي البنت قبل تمام أشهرها بمولود
يعز على أمومتها بأن يُدعى لمفقود
فتخنقها الدموع اذا استهلّ لها كفِرِّيد
وتضعف عن تحمل ما يُراشُ له بتجديد
ويترك ضعفُها أثراً على الخدين والجيد
وينسيها هوى المعدوم ذكرى كل موجود
فكم عاد الفتى منها لريشته بتنكيد
ويفعل في حشاها الداء فعل النار في العود
فلا تبقى سوى ما قلّ من أيامها السود
وتلفظ للردى نَفَساً كآخر رنة العود

٣

أفاق الناس ذات صبيحةٍ . . . كأفاقة الزَّهرِ
وكلٌّ حديثهم ترجيع ما سمعوا من الخبر
بأن مليكهم آتٍ ليفتتح معرض الصور
فأعينهم تدور بهم ولا تعيى من النظر
وتحدوهم لرؤيته المنى زُمَراً على زُمر
وتظهر بينهم أنثى تكاد تنوء من كبر
تجرر ساقها فكأنما تمشي على إبر
فتلقي ثقلها بيدٍ على العكاز من بهر
وتسحب ناشئاً بيدٍ فيتبعها على الأثر
عجوزٌ مال عنها الليل فهي اليوم في السحر

*

وقال مليكهم في الحفل لما وقته حانا
« بني وطني ، الذين أتوا زَرافات ووُحدانا
ليهنأ صدر أم أرضعت في الأرض فنانا
لقد عاش الفقيد لنا فلم نعرف له شانا
فخلّف فنه أثراً يذكرنا بما كانا
وغادرنا ليبقى من وراء الغيب يرعانا
فان نعتدّ للفنان فضلاً بعد ما بانا
فذاك لأنه بسبيلنا عانى الذي عانى
ونحن اليوم نشرف وهو بالاشراف أحرانا

وبالاحساس أكملنا على الأطلاق انسانا »

*

وتعرض قاعة التصوير لوحات بدون اسم
كلوحة جدولٍ ... تلقي السماع لمائه يهمي
ولوحة غابةٍ ... أزهارُها تغريك بالشم
ولوحة غادةٍ ... في خدها وَهجُ ابنة الكرْم
تكاد بلحظها تومي الى معنىً ... وما تومي
يروعك حسنها فتخالها هبطت من النجم
وقال مليكهم « ما أجملَ الحسناءَ في الرسم
أحقاً مسَّ هذا الحسنُ وجه الأرض في جسم
فما هي غيرَ طيفٍ داعب الفنانَ في حلم »
فيُطرِبُ سمعَهُ صوتٌ رقيقٌ « هذه أمي »

*

وتمسي وحدها تلك العجوز لطفلها المفدي
فتدركها العشيّة وهي جاثية على لحد
هما لحدان .. تعبِقُ منهما كروائع النَد
تُلجلجُ عند رأسهما الشموعُ بألسن الحمد
فتنثر ظلَّ ما حملته فوقهما من الورد
وتلمح من خلال الدمع أشباحاً على بعد
صغاراً يضحكون معاً كما في غابر العهد
فتضغط حلمة الثديين فوق الارض من وجد

وتنشد للرؤى أغنيــة أحــلى من الشهد
يعود بها صداها القهقرى لبشاشـة المهـد

٢٦ ربيع الاول ١٣٥٨

عبد وراء الستار

ليلة الزفاف

•

حفت بها النسوة في جلوة	زيّنها الحب لأسحاره
كل لسان مال في غنّة	يلهج بالنعمى الى جاره
هن عصافير الهوى كلما	نوّر زغردن لنوّاره
في غرفة تدني مرايا على	سدتها الفاره للفاره
ضاحكة الأنوار . . لولا الذي
يدخّن العود على ناره
وفاح منه أرج ناعم	أثقل جفنيها بأسراره
كأنما زفّ ربيع الصبا	لأنسها أحسن أزهاره
وطاف أتراب لها أربع	بالدفّ – يوحين بأخباره
يعطفن للنقرة صدراً . . وكم	فزّ به ما تحت أزراره
يُظهرن باللمحة في الرقص ما	حالت أمور دون إظهاره
من شاهد الطاووس يختال في
ألوانه . . . لبعض أوطاره ؟ !

*

وكان في كرسيّه جنبها ... حقيقةٌ قامت إزاء الخيالْ
ينازع الطرف فلا ينتهي ... الا اليها ـ رغم طول المطال
وهل تملّ العين من مشهد ... باركه في الخلد ربّ الجمال
فتنسج الأنوار من عينه ... خيوطها في سدفات الظلال
وهي علــى إطراقها لا تني
تصعّد الأنفاس وسط الحجال
تكاد لا تبصر من حولها ... شيئاً سوى احساسها بالجلال
وجيء بالورد فمدّت له ... من بينها واحدة في دلال
فمسّها مسّاً رفيقاً – وفي ... ناظره البرّاق عين السؤال
وارفضّ من جرّاء اشفاقه ... جبين كل منهما باللآل
حتى اذا أمطرها فضّة ... على الوصيفات ـ فعمّ النوال
فمِنَ الى الأزهار ينثرنها
وهنّ ينشدن « نشيد الوصال »

*

نشيد الوصال

(يا طائر البـان على بانهِ ... قد حفّك الروض بريحانهِ
فضاحكِ الأيّام في ظلّه ... ما دام يعلوك بأفنانه
الحسن مرآة .. أترضى بأن ... يُصدئها الدمع بتهتانه ؟
فداعبِ البرعم حتى اذا ... تفتّقت أوراقه ... دانِهِ
ونادمِ البلبل ما دام في ... نشوته يُفضي بألحانه
فخير يوميك الذي ينقضي ... عربدة ما بين ندمانه
هيهات ! ما دامت لذي سكرة ... سكرته الا بادمانه

لا تطو بالصمت ربيع الصبا فليست المودة من شانه
عمّا قليل يمحي كلّ ما تراه من ثابت ألوانه
أعندك الجام ولا تقتني حرارة من ضوء نيرانه
فما الليالي في سني الصبا الا دخان الندّ في حانه)

*

وعندما أتممن انشاده وفزن من تغريهما بابتسام
وقمن صفين ليعرضنها فنانة تغري بحسن القوام
توسطتهن على غرة كشعلة تلعب وسط الظلام
في حلة خضراء نمت على ما تحتها من بشرة كالرخام
ناهدة الثديين ... تعلوهما جوهرة زانتهما كالوسام
وردية البطن.. سوى ظلة وارت عن العين بقايا الحزام
فلم تزل تلوي يديها .. على صورة غصن مال ثمّ استقام
تراوح الخطو على هينة وتارة تحجل حجل الحمام
وكلما دارت بمنديلها ظل كموج حولها في التطام
والعرس يلقي نحوها طرفه فيرشف الصهباء من غير جام
حتى أرته كيف تطوى الحشا
للرعشة الكبرى .. كمسك الختام

*

وانتبذت تدعو شريكاتها ان يترك المغنى لعشاقه
فسرن في آثارها زمرة وهنّ يبسمن لاطراقه
حتى تسللن جميعاً .. ولم يبق رقيب غير خلّاقه

وانتدبت للباب انسانة لتحكم الستر باغلاقه
فغودر النجم الى نفسه يسبح في ظلمة آفاقه
ومدّ يمناه الى شعرها يمرها في طيب اعراقه
مستنشقاً جمتها كلما أنفاسه ضاقت باشواقه
ولم يزل يعطفها ريثما أنزلت الرأس على ساقه
واستقبلته بمحيا بدا كالورس في حالة اشفاقه
مضطرب الجفن حياء له مغرورق العين لاشراقه
فنال ما يشعره قلبها صداه في أعمق أعماقه

*

وضمها مثنى الى صدره ضمّة من يخشى عليها هواه
فاكتنفتها غيمة الحب - لا تبصر في عالمها ما عداه
وأذنها فوق حناياه لا تسمع في الدقات الا صداه
وهكذا ظل ... بمنديله يمسح عن وجنتها شجاه
وهامسا في سمعها بعضه وبعضه عند تلاقي الشفاه
« ما لك – يا خولة – تبكين في
ليلة أنس رجحت بالحياه
ناشدتك الله الذي ضمنا الى حياة باركتها يداه
إلا نفضت الجفن عن دمعه لتستطيعي ان تري ما أراه
وشاطري قلبيَ احساسه لترفع الروح معاً في صلاه
أنت من الحب جناني . . فلو
دفعت عنها لطواني لظاه

ما أرخص العـالم في ناظري

«ما دمت قد حققت أغلى مناه»

*

ومرّ بالثغر عـلى جفنها فارخت الجفن على مائه

وداعبت أنفاسه خصلةً من شعرها قامت لاغرائه

فأعرضت في خفرٍ حيث لم تقوَ على منظر اغلائه

وأشرقت في فمهـا بسمة كالفجر في مطلع اضوائه

ورنّ في اعطافـه صوتها كالماء يجري فوق حصبائه

« مالك ! ما روحي سوى معزفٍ

بـين يدي باعث أصدائـه

لا أحـد - حاشاك - اعنو له

الا الذي يدعى لأسمائـه

دونك قلبي خالصاً، فهو ان يبذل فمن كل سويدائه

لا خير لي بعدك في لؤلؤٍ ان لم تفز أنت بلألائه

ان تر دمعي سائلاً فهو لا ينبيء الا .. عن هوىً تائه

رضيت ما تشعه في الدجى يا كوكباً في أوج إسرائه »

*

ثم أدارت مبسماً ضاحكاً كالورد في أول إفضائـه

يفـتر للقبلة في وجهـه فضمها شوقاً لاحشائه

١٥ شوال ١٣٥٨

في الفردوس الارضي

١ - نشيد آدم :

ورقة تين

•

أريني ناظريكِ .. فما صحا قلبي بادمانهْ
لأسبر فيهما عمق المحيط وراء شطآنه
وخلّي خدّكِ الوردي يفتنني بألوانه
لأنثر فوقه قُبَلي وأطفيء بعض نيرانه
وضمّي ثغركِ المحشوّ بالدرّ ومرجانه
لأختم في ثناياه رحيقاً راق من حانه
ودنّي صدركِ المصقول مزهوّاً برمّانه
أجلْ شفتيّ بينهما وآنس روح ريحانه
ولفّي شعركِ الضافي على ما ماس من بانه
أمرّ أناملي فيه فيعديني بطغيانه
فلا يبقى لقلبي ما يمجّ دماً بشريانه
على احساسه الاّ وقد بالغت في شانه

٢٠ شوال ١٣٥٨

في الفردوس الارضي

٢ - نشيد حواء :

تفـّاحة

•

غادر كالشمعة جسمي لظاه   فكن عليه لا له .. في هواه
كأنما يصرعني مـارد   جن" فما تسكن عني بداه
يصرخ للشهوة ألا" تني   وفي قرار النفس يدوي صداه
اني من جراه محمومة   فاجعل مداواتك لي بالشفاه
ثغراً على ثغر .. ولا أتقي   من مطرف يخز"ني او سواه
انعم بجسني لا بأكفانه   فالحب قد جر"دني للحياه
واختر لدنياك سبيل الغنى   في شعري َالمرسل حتى قفاه

*

فان تراخت مثله رعشة   أعضاء جسمي وتلاشت قواه
وغمّتا عيناي من حمرة   تلظى على وجهي بها وجنتاه
ُضم الى وجهك صدري ولا   ترفق بنهدي" اذا لامساه
وارشفهما بالفم رشفاً فكم   ضيّق أنفاسي ما زر"راه
جسميَ روض حافل بالذي   تراه عيناك وما لا تراه

كان لي الله .. لقد همّ أن   بعبق «نوّاري» باحلى شذاه
وبعضه التف على بعضه   فكاد ان يطوى على ماطواه
فانشر جناحيك على حسنه   وبلّ - في ظل جناحيك - فاه
نجدد العهد الذي باركت   ملائك الخلد لنا في سماه

٢٥ شوال ١٣٥٨

من وحي الديوان

ليـــلى

•

قلت يوماً لابنتي ليـلى وقـد   أخـذت ديوان شعري تتغنى
فكأن الحسن أولاهـا يداً   فأرادت باسمه ان تتجنى
«طبتِ يا ليلاي نفساً فافهمي   ليس كالشاعر في الارض مُعنّى
هو من أحلامـه في جَنـةٍ   فاذا حـدّث عنها قيل جُنّـا
كلنـا طائره في قفص   انما يطلقه المجدود منّـا
لو درى الضاحك في سكرته   أنـه يشرب دمعـاً لتأنى
والليـالي يتطاولن اذا   أفل النجم الذي نوّرهنا
فمن في عافية من حبه   يتباهين بـه ما بينهنا
يحسب الناس جواه أدبـاً   قلّ من شاركه فيما أجنّا
ثم يطوي ليله صبحٌ فلا   هو للحب.. ولا مَنْ حَبّهنا»

*

فأجابتني غنـاءً في الصبا   بالذي حيّر مَنْ اكبرُ سنّا
«لا تسلني – فوجودي عدمٌ –   طائر الخلد هنا كيف اطمأنا

هو يهفو لجمال ربما خفيت آثاره في الكون عنا
فاذا شاهده في روضة أو سحاب مثّل الاحساس فنّا
والذي يطربنا من نغم مسترقاً كلما الليل أجنّا
لم يكن غير نياط الحب في قلبه كالوتر الحساس رنا
هو في نشوته يفضي بها نغمات تملأ الآفاق حسنا
لا تقل دنياه ظلّ زائلٌ فشعاع الحب فيها ليس يفنى
لو تجلت قدرة الخلاّق في لفظة.. صاغ لها الشاعرُ معنى »

*

وانحنت فوق يدي تلثمها خجلا – حين رأت رأسيَ يحنى
ثم قالت وهي تلهو بالذي قلّدتْهُ دون ان تحمل مَنّا
« حسب عقدي ان حوى واسطة ما لها في الدر صنوٌ فتُثنّى
عشت للشعر ولي يا أبتي أنت للشعر ولي ما أتمنى »

٢٥ ذي القعدة ١٣٥٨



شِيرِينُ ! حُسْنُكِ أَعْطَى الأَرْضَ زِينَتَهَا
حَتَّى وَلَوْ لَمْ يُزِنْهَا كَفُّ نَيْسَانِهْ

أسطورة الخيام

على ضوء رباعياته

راجع كتاب « زهرات من رياض الخيام » ترجمة صاحب الديوان

١

في ارض ايران حيث الهضبُ لابسةٌ
زنّارها
من الثلوجْ
كالحورْ

تستقبل الشمس .. والأنهارُ هامسةٌ
أسرارها
بين المروجْ
للنورْ

جلا الربيع بنيسابور موكبه   فزاد عيداً الى أعيادها الأخر
يا ناعماً في ربوع الخلد ليلته   مست خطاك ثرى الوادي مع السحر
فلم تزل خفراء الطير تهتف في   أفنانها لنجوم الارض بالخبر
حتى تلألأن في ضوء النهار ثُنىً   وفزن منك فرادى بالشذى العطر
فالزهر في قاعها يفترّ مبسمه   يا ليل ! هل صبغت فاه يد القمر ؟
والعشب من حولها يزهو بخضرته   يا أفق ! هل هو ميدان الى النظر ؟
والطير من فوقها في ظلّ وارفة   يا غصن ! هل أخذته رشة المطر ؟
والنهر من تحتها في موجه ألقٌ   يا شمس ! هل هو مرآة الى الشجر ؟
إني لأسمع في أرجائها ضحكاً   كنغمة بعثتها هزّة الوتر
يا من يؤمل في الفردوس بغيته   قررت عيناً بها في هذه الصور

لبِّ الحياة فقد عمّت بدعوتها
وما الربيع سوى تجديد ذكراها

٢

أتى الربيع الى الدنيا كعادته
بما اجتناه
من الجنان
ملء اليد
فكاد يُشغل عنها في عبادته
بما رآه
من الحسان
في المعبد

وأقبلت تتهادى في غلائلها ... بنت الجنان تحييها كحوّاء
لو حاول الليل أن يغزو غدائرها ... لماج يسأل: أين الكوكب النائي
تضاحك الورد لما قبل «وجنتها» ... أكنت، يا ورد، مشغوفاً باطراء؟
فأسفرت عن محياً في بشاشته ... يكاد يقطر منه الحسن كالماء
شفّ الحرير الذي وارى ترائبها ... عن فاتنين .. فهل همّا باشياء
لم تسحب الذيل فوق الزهر سائرة ... الا ومال يزكيها بايماء
حتى أتت محفلاً في الروض منزوياً ... قد لاذ في السكر أهلوه بأفياء
هذا أخو شيبة ألقى اليراع على ... ما خطّه وانثنى في شبه إغفاء
فهيّأت كأسه .. حتى إذا نظرت ... ما في الصحيفة .. غنت للأحباء
– والشوق في دمها والعود في يدها ... يُعيد نغمتها الاولى بأصداء –
«يا نائماً في ظلال الكرم وابنته
في الحلم تؤنسه .. قم وارتشف فاها»

٣

هذا الجمال الذي كم ودّ ناظرُهُ

في مبعةٍ

من صباهْ

لو نالَهْ

يا ورد ! مثلك ان حيّاه شاعرهُ

بنغمةٍ

من هواهْ

أصغى لهْ

«شيرين ! غنيّت صوتاً كان يطربني   ليت الأحباء عادوا لي مع النغمِ

ناموا .. وهدهدت الأزهار بعدهم   يدُ الربيع على عيني .. فلم تنم

ذكرتني بشبابي اذ تطوف به   في باحة الخلد آمال مدى الحلم

اذ كنت أطلق نفسي في سجيتها   فلا تني السبق من جريٍ على قدم

أشكو مواقع عينيْ كل فاتنةٍ   مفتونة بالذي اجلو من الشمم

باحت بسر شكاة القلب رائعة   تلوح كالبرق في داجٍ من الظلم

ما للبياض – أحال الله جدته –   يفضي الى الهمِّ .. لا يفضي الى الهِمم

نعد للصبر أنفاساً محرقةً   حتى تحول رماداً فحمة اللمم

لأقطعن نياط القلب إن وجدت   نفسي سبيلا الى غرس المنى بدمي

فلو سفرت عن الآمال كان بها   ما بي من الزمن الموفي على الهرم

فجددي لي باللحن الجميل رؤىً

لا زلت تحت ظلال الكرم أرعاها »

٤

يا طرفها ! انـــه قضّى الحياة الى

مشيبـــهِ

في اكتنـــاهِ

الشهُـــبْ

وظل بجمره في الأرض مشتعـلا

بطيبـــهِ

لالـــهِ

الحـــبْ

« شيرين احسنك أعطى الارض زينتها ... حتى ولو لم يزنها كف نيدانه

فكيف والطير قد بل الندى فمه ... فطـــار يملأ مغناهـــا بألحانه

هذا الربيـــع قد استلقى بحاشيةٍ ... من الزهور على الوادي وشطآنه

يصيخ للبلبل العربيد .. وهو على ... أرجوحة من نسيم الروض او بانه

يهز ارجاءهـــا هزاً بنغمته ... ولا يفيق -- كأن السكر من شانه

فلقنيه من الالحان أطربهـــا ... الى النفوس .. وجازيه باحسانه

وبادلي الروض أنفاســـاً معطرة ... فمـــا أرقّ الصبا في ظل أفنانه

وضاحكي الورد في إبان حمرته ... فربمـــا عاد مطوياً لاشجانـــه

ودونك النهر .. فانسي في تدفقه ... هذا القميص الذي يزري بانسانه

أما كفى الحسن ان الموت يرصده ... فما له في الصبا يسعى بأكفانه

وقبّلي الكأس ما دامت مشعشعة

ولا تشحّي على ثغري ببقياهـا »

٥

يا ربة الحسن ! إن السكر مبعثُه
عيناكِ
وحدهما
لا الكأسُ
وأين من شَفتيك السحر ينفثُه
صرعاكِ
باسمها
في الناسْ

طافت عليهم بها كالشمس ساطعة — يرى على الخد من لألائها شفقُ
فعب فيها ثلاثاً وهي تسنده — حتى تماسك في أحشائه الرمق
وعاود العود شيء من عافيته — لما غدا العود بين الجمر يحترق
فظلّ يبعث في الأسماع أنته — موصولة دون أن ينتابها قلق
ثم استمرّت تغنيهم — بما حملت — يد الربيع لهم — والعود يصطفق
« يا عاشق الورد ! ما جاء الربيع لكي
يحيا حبيبك محفوفاً به الورق »
— وصوتها ماج بحراً لا هدوء له — من كل نجم على أمواجه ألق
يعلو . . فتحسبه شق القلوب الى — حباتها . . وطوى آلامها الغرق
حتى اذا خفتَ — مغموراً بموجته — شيئاً فشيئاً . . تراءى حولها الافق
فهال كل نديم في ترنحه — على سواه من الصوت الذي عشقوا —
« فاقطفه في زهوه . . وانظر الى دمه
هل مازج الكأس إذ تسقي وتُسقاها »

٦

بات الهزار بقرب الورد يعبده
يا طلّ
كن كالخمرِ
رقراقا
وقل الى النجم ان الفجر موعده
يظلّ
حتى الفجرِ
برّاقا

وتمّ للشمس في الافلاك جولتها ... فجاوزت بخطاها الغرب في خفرِ
وظل من بعدها ما احمرّ من شفقٍ ... يسائل الأرض هل غابت عن النظر
فانفضّ في الروض حفل كان منشده ... من الطيور وساقيه من الزهر
وأقبل الليل يحدوه تطلعه ... الى الذي خلّف الندمان من أثر
يا ليلُ! انفرط العقد الذي امتلأت ... به يداك ففاض الكون بالدرر
لولا سناها لما عاينتَ شاعرهم ... وقد توسّد كفيه على النهر
بجنب شيرين .. مأخوذاً بروعة ما ... تدليه [1] في مائه الجاري من الشعر
ووجهها باسم يغني بطلعته ... عن الشموع – ويمناها على الوتر
قال انظري كيف يبدو في الظلام لنا ... سر الجمال الذي يخفى مع السحر
شيرين! لو كان لي بعد البلى أمل ... لما تمنيت إلا ثانياً عمري
فعشت في هذه الدنيا كعهدك بي
للحسن .. يشعل لي ناراً فأغشاها »

---

(١) الضمير يرجع الى الليل .

٧

للحسن فينا – كما فيه لنا – وطرٌ
من لم يجمْ
بين يديْ
نورهْ
عاش الندامى وحلّى كأسهم قمرٌ
على النغمْ
من عرش دنْ . .
جورهْ

عاد الربيع لنيسابورَ ثانيةً وقد تبدل زاهي أمسها بغد
فكان في الموكب التالي كسابقه يمشي مع الحسن مختالا . . يداً بيد
كم ذاب قلب هزار في ترنمه حتى تضوع هذا الزهر وهو ندي
عاد الربيع . . وقد حف الحسان به الا الذي كان يهوى الحسن لم يعد
سل الورود وقد وارت بكلتها ضريحه لِمَ لمْ تكثر من العدد
هناك حيث قديماً طاب محفلهم حل الندامى على أغاطها الجُدد
عاد الربيع . . فلا ردوا تحيته الا بأحسنَ منها – دائمَ الابد
بشعلة في يديها . . . روح شاعرهم مثلَ الفراش حواليْها مع الحشد
حتى اذا تم دور الكأس بينهم مالت الى القبر بالباقي ولم تكد
فرددت قوله والعود في قلقٍ تهتز أوتاره من صوتها الغرد –

« وا ضيعةَ الكاس يوماً إن عثرتِ بها
على رفاقي . . . فلم أنعم برؤياها »

٢٧ جمادى الثانية ١٣٥٩

من أساطير الهند

لؤلؤة الحب

من اج . جي . ولز بتصرّف

●

« اني لا استطيع ان احكم لنفسي في الخلاف الناشيء منذ العصور حول هذه القصة . أهي اشد القصص مرارة في الحب ؟ ام انها مثل رائع لخلود الحسن ؟ »

« انها اقصوصة جد قصيرة . وان كانت شروحها قد شغلت حيزاً كبيراً من ادب ذلك الجيل المنثور ، فحسبها بعضهم خيالا شعرياً ، واعتبرها آخرون رمزية فكثرت في مغزاها الاقاويل . وذهب رجال اللاهوت فيها مذاهب شتى واهتموا منها في الأخص بالجانب المتعلق بالبعث بعد الموت . وضرب رجال الاخلاق بها الامثال . واتخذوها موضوعاً للعبرة . وهناك غيرهم من لا يرى فيها الا الحقيقة عارية من كل لبوس » . اج . جي . ولز

*

جلوها له في نقاب الجمال عروسا أتمّ الصبا عامَها
وكان قريباً بعهد الطفولة لمـّا تتوّج اذ رامها
فحلـّت على قلبه كالشعاع ترى عينـه فيه أحلامها
سل الزهر عن ضحكها عندما تفتّح للطـلّ أكمامها

سل الطير عن نطقها عندما   تبثّ مع الفجر أنغامها

وما حكتا من معاني الفتون ما يلهم الشعر الهامها

وما شرقت عينها بالسرور   فتنفض من خمره جامها

اذا خطرت شدّ بين القلوب   من لا يبارك أقدامها

وكانت يد الحكم -عن امره   - تنفّذ في الخلق أحكامها

فعاش لأمناعها بالوجود   ونوّر بالحب أيامها

*

وعاشت واياه في روضة   من الحب أفنانها دانيه

اذا عاد من همّه بالنهار ألفى لديها المنى زاكيه

فمجمرة العود في جانب   ومعزفة العود في ناحيه

ومن حول هاتين شفّت ستائر   عن كل نمرقة غاليه

وقد عقد الورد حول السرير من مثل ألوانها حاشيه

فتسرع باسمةً نحوه   وتأخذ يمناه كالشاكيه

وتهوي به بين تلك الظلال   وتبقى الظلال على ما هيه

فلا تسمع الاذن غير الصدى   صدى الروح تهفو الى ثانيه

ولا تبصر العين الا يداً   تمرّ برفق على ناصيه

الى ان تذوب الشفاه التي   تناغيه في قبلة .. غافيه

*

وكانت قصاراً ليالي الهناء   ولكنها ازدهرت كامله

فما شعرا بحداء الربيع   ولا كيف مرت به القافله

وحل الخريف لتنعى الطيور   الى الروض أوراقه الهاطله

تبدل في عينها كل لون   فيا لك من صفرة قاتله

فهامت فرادى على وجهها وكانت تقر معا نازله
وماذا تؤمل بين الغصون وقد تركتها الصبا عاطله
على كل صاوٍ [1] لها رنة تسائله – لو وعى سائله
وأمسى أديم الثرى صورة لما رسمته الخطى العاجله
ومن بين من شيعتها الطيور الى عالم لا ترى ساحله
على صغر السن بين الحسان زهرة آماله الذابله

*

وأدمى المصاب فؤاد الامير وأفقده رشده في أساه
فظل ثلاثاً بلا بلغة وقد برمت نفسه بالحياه
يلوح لناظره طيفها فيجزع من دمعه إن محاه
ويضحك من قلبه ساخراً إذا لم يرنّ اسمها في صداه
وكم أطرق الرأس حتى إذا أحس بذلك.. جنت بداه
وكم لبثت عينه في الظلام شاخصةً.. لا ترى ما يراه
وتلّى على صومه رابع وما زال جثمانها في كراه
فلم يجتريء أحد بعد أن يواريَ هيكلها في ثراه
تمد النساء عليها الحرير فيحسبنه قائماً في صلاه
الى أن تمثلها فكرة فقرر تنفيذها – في ضحاه

*

فأصدر أمراً الى شعبه دعا فيه باديهمُ .. والحضرْ
فما خطرت قبله فكرة كتلك ببال جميع البشر

---

(١) يقال صوى النخل وصوِيَ فهو صويّ وصاوٍ اذا يبس .

ووافاه من كل فجّ عميق   بُراة الدمى والفنون الاخر
وتم له من معـــدانهم   وأسبابهم ما اقتضاه الاثر
فصبّ لتابوتها فضـــة   وزخرف أطرافه بالصور
وقوّم بالعـــاج أركانه   وزان قوائمـــه بالدرر
وشاد على قدسه حضرة   بناها من المرمر المختفر
وقدر شبا كهـــا صندلاً   وجمل كسوتـــه بالطرر
وقامت له شرفة في البناء   مقصورة غلفت بالستر
فكان يفارقهـــا بالعشاء   ويأتي لزورتها في السحر

*

ومرت سنون على صرحه   وما زال يعمل في شانه
يحس الى حبها في الضلوع كالبحر يغشى بطوفانه
فيسعى ليعلنـــه للانام   ولا يستريح باعـــلانه
وتلك التي أججت قلبه   فأغرت حشاه بطغيانه
ففي طرفه أبداً حيرة   اذا جال في حسن بنيانه
فكم عاودت يده بالصلاح   شكلاً يدل باتقـــانه
وكم أعجب الناس ما شاده   وأنكره هو في آنه
فهدم من سقفه ما استقر   وبدل هيئة أركانـــه
وفي البده كانت له نزعة   الى المستقل بألوانـــه
فخفف حدتها توقـــه   حديثاً لاظهار سلطانـــه

*

مضى في التطوّر ذاك البناء   ومهّـد أوّله آخره
فيأخذ أبوانـه في اتساع   تحيط السواري به دائره

وتلك هي النار في صدره ... ولكنها التهبت زاهره
ففي كل ركن لها آية ... تحدّث عن حسنها شاعره
لقد كان يوضيه منها البهاء ... فأصبح لا يرتضي الباهره
واكسبه ضربه في الفنون ... ذوقاً هدى فطرة طائره
ليختار من وحيها ما يجل ... ويهمل عن عمـــد سائره
فكم شرفة أثقلتها النقوش ... ردّ سرادقها حاسره
لتنهض من فوقها قبّـــة ... تخال السماءَ بهـــا غائره
يغيب عن الحسّ من زارها ... ويشهد في ظلّها الآخره

*

سما صعداً حلمه بالقباب ... فظلت كأجفانه في اتّزان
تطلّ عـــلى أثر للخلود ... قام على آخر وهو فان
وكانت تجيء اليه الوفود ... تبارك سمعته بالعيان
فتشدو أدلاّؤهم بالـــتي ... على حسنها عقد المهرجان
وكيف قضت في صباها فشاد ... لها الحب لؤلؤة في الزمان
فتخشع أطرافهم للمكين ... وتخفت أصواتهم في المكان
وكم شاعر هائم في الخيال ... تمثلها فبكى من حنان
وحسناء تحبس أنفاســـها ... لعاقبة مثلها في الحسان
وعاش الأمير على عهده ... يقوم لها كل يوم بشان
ومن حوله ملهمات الفنون ... ترفّ على قلبه بالأمان

*

وأمسى بشيبته ذات يوم ... تنادمه روحها الساريه
يرى الوافدات الى قبرها ... وهنّ يزغردن في عافيه

فيثمل من حسن ما قد أتمّ ويصحو على ذكره ماضيه
لقد لبس الصرح هذا الجلال باشراف قبّته العاليه
ولم يبق ركن على حجمه سوى موضع التربة الزاكيه
ونظرته ترتمي في البناء فتسبح في جوّه صافيه
ولكنها كلما راجعت سواريه .. سارية ساريه
أصابت عثارا على نقطة فكرّت على نفسها ثانيه
فيشعر كالشوك في صدره يوخّز من قلبه داميه
فينهض في قبضة من ذهول يجرّ خطاه بلا واعيه

*

وعاد غداة غد واجماً وفي سرّه الخطة التاليه
وساد السكون على الملهين كأنهم الجمرة الخابيه
فشاعرهم قائم بالوصيد يسائل عما جرى راويه
ودار بنظرته في المكان والقى على صحنه ثانيه
وروّى طويلا وقال: ارفعوه وأوماً للتربة الزاكيه

١٦ ذي القعدة ١٣٥٩هـ

انتهى

فَاعْجَبْ لِطاوُوسٍ جَلا ذَيْلَهُ   لِناظِرَيْ أُنْثاهُ زَهْوَ الحَياهْ
فَانْتَشَرَتْ بَيْنَ يَدَيْ حُسْنِهِ   حَتَّى إِذا أَقْتَرَّ سَواءٌ . . طَواهْ

فهرست

« قبلتـــان »

ملحمة ذات ثلاثة فصول

لصاحب العرائس

تصدر قريباً

عن

دار العلم للملايين

يصدر قريباً

عن دار العلم للملايين

•

سعد زغلول (الكتاب الاول من سلسلة أعلام الحرية)
للاستاذ قدري قلعجي

على المحك (نقد للشعر المعاصر) للاستاذ مارون عبود

كيف تغلب الانسان على الألم ؟ للدكتور نقولا فياض

أشواق (قصص) للاستاذ سهيل ادريس

الحب العذري للاستاذ موسى سليمان

الديمقراطية (الكتاب الاول من السلسلة السياسية)
للرئيس ادوار بنيش

•

تطلب كتب الدار

في دمشق من السيد علي نظام وكيل شركة فرج الله وحتي
وفي العراق من السيد محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية
وفي مصر من مكتبة الكشاف للنشر ٢٧ شارع الملكة فريدة
وفي البحرين من السيد ابراهيم محمد عبيد صاحب المكتبة الوطنية

انتهى طبع « العرائس »
في اول تشرين الثاني ١٩٤٦ على
مطابع الكشاف



النسخة

٢٢٥ قرشاً

او ٢٥٠ مليماً أو ملا أو فلساً

مطبعة الكشاف بيروت